جامعة سيدي محمد بن عبد الله
كلية الآداب و العلوم الإنسانية
-ظهر المهراز-
فاس

شعبة الدراسات الإسلامية

التوسل من الوجهة الشرعية

﴿دراسة وتحليل﴾

بحث لنيل الإجازة في الآداب

من إعداد الطالب:
حكيم حجيج
الرقم الوطني : 91/786694

تحت إشراف الدكتور :
عبد السلام الغرميني

السنة الجامعية :
1999 – 1998

Scanné avec CamScanner

اهدي بحثي هذا :

- إلى الذي ملأت قلبه من جلالك وعينه من جمالك فأصبح فرحا مؤيدا منصورا وعلى آله وصحبه وسلم .

- إلىالذين يدعون ربهم بالغدّاة والعشي يريدون وجهه.

- إلى كل من أكن لهم حبي ويمنحونني خبهم وحنانهم ومعونتهم.

- إلى أمي وأبي وإخوتي.

- إلى أستاذي الفاضل الدكتور عبد السلام الغرميني.

-إلى كل من ساعدني من قريب أوبعيد.

Scanné avec CamScanner

التصميم

مقدمة

الباب الأول: دراسة المفهوم

الفصل I : التوسل لغة واصطلاحا

الفصل II: أقوال بعض العلماء في مصطلح التوسل

الباب الثاني : مادة التوسل في النصوص الشرعية :

الفصل I: من خلال القرآن

الفصل II: من خلال السنة

الفصل III: أنواع التوسل وحكمه

الفصل VI: من خلال أقوال العلماء والأئمة

الباب الثالث: المفهوم بلفظ آخر .

الفصل I: الدعاء

الفصل II: الإستفتاح

الفصل III : الإستشفاع

الفصل IV: الإستغاثة

الفصل V: الإستعانة

الفصل VI: الإستغفار

الباب الرابع : موقف العلماء الشرع من التوسل

الفصل I: أهل الإثبات

الفصل II : أهل النفي

الفصل III: إستنتاج وترجيح

خاتمة :

إني أرجو من الله العلي القدير أن يساعدني على إتمام هذا البحث المتواضع في أحسن الظـــروف لأصل فيه إلى ما أبتغيته من أهداف و أملته من غايات، فمن رأى صوابا فالمنة لله ومـــن رأى غـــير ذلـــك فالإعتذار إليه واجب، ومن الله سبحانه القبول إنشاء الله.

Scanné avec CamScanner

بسم الله الرحمان الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جعل التوسل من خصائص خلقه وهو المنزه عن أن يكون وسيلة والصلاة والسـلام علـى سيد الخلق الذي جعله الله للخلق وسيلة وعلى آله وصحبه الذين اتخذوه وسيلة.

من الأمور الثابتة والقواعد الراسخة أن الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين لهم عند الله قـدر ومنزلـة ومرتبة عليا في الدنيا والآخرة حيث قال الله تعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾(1) وقال أيضا في شأن حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم : ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ (2) وقال كذلك ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾(3) وكذلك أثبـت لهم القدر والمنزلة بالأحاديث فقد روى الترمذي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :"أنـزل الله علـي أمانين لأمتي ، وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون"(4)وروى الطبراني وغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إن الله يدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيت جيرانـه" (5) وروى الترمذي في الجامع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"الناس رجلان رجل برتقي كريم على الله ورجل شقي مهين على الله" (6).

فهذه النصوص صريحة في أن للمرسلين والصالحين عند الله مرتبة ومنزلة ، فإذا ثبت هذا فالتوسل بـذوات الأنبياء والصالحين وكذا بالأعمال الصالحة جائز وحسن .

هذا ما كان يراه علماء الإسلام قاطبة منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى أن جاء ابن تيمية أول مـن خرج عن أهل السنة وشذ عنهم وخالفهم مع أنه ليس من الأئمة المجتهدين ، والمخالفة للإجماع ضلال مبين وفساد عميم على حد قول القائل :

إذا رضى الناس عن واحد ... وخالفهم في الرضا واحد
فـقد دل إجـماعهم دونه ... على عقله أنه فـاسد (7)

---

1 - البقرة الآية 253
2 - الأنفال الآية 33
3 - المنافقون الآية 8
4 - الترمذي باب التفسير ص 439
5 - كنز العمال ج 9 ص 5
6 - الترمذي ، الجامع ص 470
7- المقالات الوفية في الرد على الوهابية لحسين بن حسين خزبك ص 140

Scanné avec CamScanner

وقد ترتب على الظاهرة بآرائه الشاذة تفريق كلمة المسلمين إلى اتجاه مؤيد واتجاه منكر للتوسل والاستشفاع بصفة عامة وهذا ما سأحاول مع مشيئة الله وقدرته ان ابرز من خلال فقرات بحثي هذا والله ولي التوفيق .

١ -الباب الأول : دراسة في المفهوم :

الفصل الأول : التوسل في اللغة والإصطلاح :

- التوسل : جعل الشيء وسيلة (١) وتسببا لحصول المقصد ، وفي اصطلاح الشرع جعل الشيء الذي له عند الله قدر ومرتبة وسيلة لإجابة الدعاء فماله قدر ومنزلة عند الله فالتوسل به جائز وحسن ذاتا كان أو عملاً صالحا.

وفي كتاب البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر جاءت الوسيلة بمعنى الذريعة .(2)

وما ورد وسل تدل على الوصل والقربى، والوسيلة المنزلة عند الملك ، والدرجة والقربة، وفي حديث الأذان اللهم آت محمدا الوسيلة ......والمراد القرب من الله تعالى وقيل هي منزلة الشفاعة يوم القيامة (3)

*إذن فالتوسل لغة هو : التقرب إذ يقال : توسلت إلى الله بالعمل ، أي تقربت إليه وتوسل إلى فلان بكذا : تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود.

- قال تعالى : (يا أيها الذين ءامنوا إتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) *

وَوَسَّلَ إلى الله تعالى توسيلا : عمل عملا تقرب به إليه كتوسل ، والواسل : الراغب الى الله تعالى (٤)

* واصطلاحا : لايخرج التوسل فيه عن معناه في اللغة ، فيطلق على ما يتقرب به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المنهيات ، وعليه حمل المفسرون قوله تعالى : ﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾،ويطلق التوسل أيضا على التقرب إلى الله بطلب الدعاء من الغير وعلى الدعاء المتقرب به إلى الله تعالى باسم من أسمائه أوصفة من صفاته ، أو بخلقه كنبي ، أو صالح ، أو العرش وغير ذلك (5) على خلاف وتفصيل بين الفقهاء كما سيتضح .

واطلقت الوسيلة في الحديث على منزلة في الجنة . قال النبي عليه الصلاة والسلام : (سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله و أرجو أن أكون أنا هو .) (6)

---

1 - لسان العرب ، ابن منظور -دار الجيل -

2 - لصاحبه مولانا حمد الله الداجوي . 33.

3 - لسان العرب ، ابن منظور -دار الجيل - .

4 لسا ن العرب - وترتيب القاموس المحيط مادة وسل-الفيروز الأبادي

5 - قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص 13 وتفسير الآلوسي 124/6

6 - أخرجه مسلم (289/1 ط الحلبي).

Scanné avec CamScanner

الفصل الثاني : أقوال بعض العلماء في مصطلح التوسل:

* الشيخ السيد زين آل سميط : معناه التبرك بذكر أحباء الله تعالى لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم فمعنى التوسل بهم أن يتخذهم وسيلة أي واسطة إلى الله جل وعلا في قضاء الحوائج وحصول المطالب لكونهم أقرب إلى الله منا فهو يجيب دعاءهم ويقبل شفاعتهم (1).

*الشيخ محمد حسنين مخلوف العدوي (2) التوسل إلى الشيء التقرب إليه بكذا تقرب إليه بحرمة آصرة تعطفه عليه ووسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب إليه ومنه قوله تعالى:

﴿ وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ أي ما يتوسلون به إليه مما يقربكم إلى نيل ثوابه من فعل طاعة أو ترك معصية .(3)

*السيد محمد بن علوي المالكي الحسني : يرى أن التوسل أحد طرق الدعاء وباب من أبواب التوجه إلى الله سبحانه وتعالى ، فالمقصود الأصلي الحقيقي هو الله سبحانه ، والمتوسل به إنما هو واسطة ووسيلة للتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن التوسل ليس أمرا لازما أو ضروريا وليست الإجابة متوقفة عليه .

* الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية : فلفظ التوسل عنده يرادبه معان:

- التوسل بطاعته وهذا فرض لايتم الإيمان إلا به .

-التوسل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

-التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الإستسقاء ونحوه لافي حياته ولا بعد مماته لاعند قبره ولاغير قبره. (4)

*الشيخ مولانا حمد الله الداجوي:

-ذكر في كتابه البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر أن الوسيلة هي بمعنى الذريعة (5)

*الشيخ علي محفوظ (عضو هيئة كبار العلماء): لفظ التوسل عنده يراد به ثلاثة معان كذلك:

1 - التقرب إلى الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله وهذا واجب لايكمل الإيمان إلا به .

2-التوسل إليه سبحانه بشفاعة النبي ودعائه كان ذلك في حياته ، ويكون في عرصات القيامة.

3 - التوسل به صلى الله عليه وسلم بمعنى الإقسام على الله بذاته فهذا لم يقع من الصحابة رضي الله عنهم في الإستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد موته لا عند القبر الشريف ولاغير القبر ولا يعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة المأثورة عنهم .(6)

---

1 - صفحة 9و10 من كتاب مسائل كثر حولها النقاش والجدل للشيخ السيد زين آل سميط للناشر يوسف السيد هاشم الرفاعي ط 1 الكويت .

2 - وكيل الجامع الأزهر ومدير المعاهد الدينية سابقا.

3 - رسالة في التوسل من الصواعق الإلاهية في الرد على الوهابية ص 3.

4 - ص 50 - من كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة

5 - ص 33 - البصائر

6 - ص 212 من كتابه الإبداع في مضار الإبتداع - دار الإعتصام .

Scanné avec CamScanner

*شيخ الإسلام ومرجع الخاص والعام السيد أحمد بن زيني دحلان :

حديثه عن لفظ التوسل : .... فالتوسل والتشفع والإستغاثة كلها بمعنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر أحباء الله تعالى لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم سواء كانوا أحياءً أو أمواتا فالمؤثر والموجد حقيقة هو الله تعالى وذكر هؤلاء الأخيار سبب عادي في ذلك التاثير .(1)

- ويقول في موضع آخر : وقد يكون معنى التوسل به صلى الله عليه وسلم طلب الدعاء منه إذ هو صلى الله عليه وسلم حي في قبره يعلم سؤال من يسأله (2)

*لفظ التوسل من خلال الموسوعة الفقهية : التوسل والإستعانة لفظان متساويان لغة واصطلاحا .

فالإستعانة لغة طلب العون وفي الإصطلاح كذلك وتكون الإستعانة بالله وبغير الله (3)

*الدكتور السيد محمد علوي المالكي الحسني :

-التوسل من أعظم أبواب الفرج وهو أقرب طرق الوصول إلى بلوغ المأمول وحصول المطلوب وخصوصا إذا كان ذلك بجاه الحبيب المحبوب شافي العلل ومفرج الكروب صلى الله عليه وسلم وعلى آله ومن إليه منسوب . (4)

الباب الثاني

مادة التوسل في النصوص الشرعية

الفصل الأول : من خلال : - القرآن : وردت هاته المادة في قوله تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا إتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ (5) وهي شاملة للذوات والأعمال لأن الوسيلة كل ما يتوسل به أي يتقرب به إلى الله من قرابة أو صنيعة أو غير ذلك (6)

و لأن المراد من الوسيلة القربة كما قال عامة المفسرين والقربة إما أن يكون بمعنى إسم الفاعل أي مقرب والمقرب الحقيقي هو الله تعالى وهو ليس بمرادف هنا فيكون الإسناد إلى السبب أي سبب القرب إلى الله أو يكون القربة بمعنى إسم المفعول أي مقرب إلى الله ، فالقربة بكلا المعنيين شاملة للذات والعمل لأنها سبب القرب إلى الله والمقرب إلى الله كما يكون أعمالا كذلك يكون ذواتا حيث يقول عز من قائل ﴿ ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ كما قال :﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾ ففي الآية الأولى

1 - ص 13 من كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية لأحمد بن زيني دحلان.

2 - ص 17 من كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية

3 - الموسوعة جزء 4 ص 17

4 - ص 287 من كتا به : أبواب الفرج

5 - حزب 5 - 35 من سورة المائدة

6 - الزمخشري، تفسير الكشاف / ص 118 من مفاهيم يجب أن يجب تصحح للعلوي المالكي

Scanné avec CamScanner

بيان للذوات ، وهم يستغفرون في الآية الثانية بيان للأعما ل والوسيلة : كل ما جعله الله سببا في الزلفى عنده ووصلة إلى قضاء الحوائج منه والمدار فيها على ان يكون للوسيلة قدر وحرمة عند المتوسل إليه ولفظ الوسيلة عام في الآية فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من الأنبياء والصالحين في الحياة وبعد الممات.

قوله: 2 - ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ الإسراء 57. قال البغوي في تفسير قوله :﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم ، قال ابن عباس و مجاهد : وهم عيسى وامه وعزير ، والملائكة والشمس والقمر والنجوم ، يبتغون: أي يطلبون إلى ربهم الوسيلة أي القربة وقيل الدرجة أي يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا ، وقيل الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى ، وقوله أيهم أقرب معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به .

•وقال الزجاج : أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح .(1)

•ذهب المفسرون إلى أن الوسيلة في قوله ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾

-تطلق على الأعمال الصالحة (2) وجاء في صفوة التفاسير في معنى قوله تعالى وتفسيره : أولئك الآلهة الذين يدعونهم من دون الله هم أنفسهم يبتغون القرب إلى الله ويتوسلون إليه بالطاعة والعبادة فكيف تعبدونهم معه .

: قال العلماء : الوسيلة الشرعية هي صالح العمل لقوله تعالى في بيان المتقين الفائزين بهذه الكرامات السنية ﴿ الذين يقولون ربناء إننا آمنا فاغفرلنا ذنوبنا وقنا عذاب النار﴾ فإنهم رتبوا طلب المغفرة والوقاية من النار على الإيمان والمراد به الإيمان الصادق الذي تصدر عنه آثاره من عمل الطاعات وترك المعاصي ، وهذا لا شك توسل منهم بالإيمان وصالح العمل في مقام الضراعة إلى الله تعالى (3) وأن الوسيلة في الآية هي ما يتوصل به إلى رضاء الله تعالى والقرب منه ونيل الثواب في الآخرة في فعل الطاعات وترك المعاصي ومن هذا تعلم أن المقصود في كل ذلك هو الله عز وجل وغيره شفيع فقط.

ب ـ : الفصل الثاني: من خلال السنة : لقد وردت مادة التوسل في خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم عدة مرات مثل:

• روى الحاكم في المستدرك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلىالله عليه وسلم : لما اقترف أدم عليه السلام الخطيئة قال : يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لي : فقال الله:يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على

---

1 - ص 19 من كتاب اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء لعبد الله بن محمد بن الصديق الغماري

2 - روح المعاني للألوسي ج124/6.

3 - صفوة التفاسير لمحمد علي الصابوني (م2 /ص 165)

Scanné avec CamScanner

قوائم العرش مكتوبا لاإله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى إسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ، ولولا محمد ما خلقتك (1)

* روى البخاري في الصحيح في باب الإستسقاء عن أنس رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه استسقى متوسلا بالعباس رضي الله عنه وقال عمر للناس " إتخذوه وسيلة إلى الله تعالى " (2)

* روى الترمذي و ابن ماجة عن عثمان بن حنيف " أن رجلا ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافيني فقال: إن شئت دعوت و إن شئت صبرت فهو خير لك ، قال: فادع قال: فأمره أن يتوضأ ويحسن وضوءه ويدعو بهذه الدعاء:"اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضي اللهم فشفعه في". قال عثمان بن حنيف فوالله ما تفرقنا ولاطال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضر قط " (3)

* أخرج إبن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، وخرجت إتقاء سخطك وإبتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " أقبل الله عليه بوجهه وإستغفر له سبعون ألف ملك"

* عن عبد الله بن عمر بن العاص أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة (وفي حديث آخر منزلة) لاتنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة). (4)

* حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أنه مر على قاص يقرأ ثم يسأل ، فاسترجع عمران بن حصين (أي قال : إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قرأ القرآن فليسأل الله به ، فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس. (5)

* قوله صلى الله عليه وسلم : أسألك بكل إسم سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحد من خلقك أو إستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور بصري ، وجلاء حزني وذهاب همي . (6)

---

1 - رواه الطبراني وزاد فيه " وهو آخر الأنبياء من ذريتك في المعجم الصغير ص 207قال الحافظ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري في كتابه الرد المحكم المتين أنه حديث حسن أخرجه الحاكم (ج 2 / 615ط دائرةالمعارف العثمانية) وقال صحيح .

2 - فتح الباري . ج 2 ص 412.

3 - أخرجهالترمذي (ج 5 / 569 ط - الحلبي) وقال حسن صحيح ، وكذلك رواه ابن ماجة والطبراني والحاكم والبيهقي والنسائ ورواه البخاري في التاريخ ج 2 ص 209..

4 - أخرجه مسلم (1 / ص 289 .ط الحلبي)

5 - أخرجه الترمذي (5/ص 179- ط الحلبي) وقال حسن .

Scanné avec CamScanner

*عن جابر رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لايسال بوجه الله إلا الجنة" .(1)

• حديث عبد الله بن بريدة عن ابيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول : اللهم إني أسالك اني اشهد انك انت الله لاإلاه إلا انت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد فقال : لقد سالت الله بالإسم الذي إذا سئل به أعطى ، وإذا دعي به أجاب" (2)

• حدثنا الحسن بن محمد قال: حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري قال : حدثني أبي عبد الله بن المثنى عن ثمامة بن عبد الله بن أنس ، عن أنس : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا ، قال : فيسقون . (3)

* إذن من خلال هاته الأحاديث وغيرها كثير ، فللتوسل صور عديدة منها ما هو جائز ، ومنها ما هو غير جائز عند البعض من الفقهاء نذكر منها على التفصيل :

الفصل الثالث : أنواع التوسل وحكمه التكليفي :

– أولا : التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته : اتفق الفقهاء أنه مستحب لأي شيء من أمور الدنيا والآخرة . مثل حديث (أسألك بكل إسم سميت به نفسك) وحديث جابر (لايسأل بوجه الله إلا الجنة) .

–وكذا حديث عمران بن حصين (أنه مر على قاص يقرأ ثم يسأل....) .

– ثانيا : التوسل بالإيمان والأعمال الصالحة : أجمع العلماء على جواز هذا التوسل الذي يكون فيه الإنسان متقربا إلى الله بعمله وأعماله الصالحة ونجده في حديث عبد الله بن بريدة : (اللهم أسألك أنك أنت الله ...) وكذى حديث الغار .

– ثالثا : التوسل بالنبي: ب : –1) طلب الدعاء منه في الحياة الدنيا : مثل حديث الضرير وهو توسل قد تبث بالتواتر أن الصحابة فعلوه .

2) طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة : باتفاق العلماء هو واقع لامحالة في المحشر وهو بمثابة الشفاعة العظمى التي اختص بها النبي في عرصات القيامة .

3) التوسل به صلى الله عليه وسلم على معنى الإيمان به ومحبته: لاخلاف فيه وذلك كأن يقال: أسألك بنبيك محمد أي أسألك بإيماني به وبمحبته ونحو ذلك .

---

6 - أخرجه أحمد (1/ص 193 . ط – الميمنية) والحاكم (509/1. 510 ط دائرة المعارف العثمانية).

1 - أخرجه أبو داود (309.310/2. تحقيق عزت عبيد دعاس، وضعفه عبد الحق الإشبيلي والقطان كما في فيض القدير للمناوي (451/6ط– المكتبة التجارية).

2 -أخرجه أبو داود (2 / ص 167 تحقيق عزت عبيد دعاس) وقال الحسن المقدسي إسناد لامطعن فيه (مختصر أبي داود (145/2 – نشر دار المعرفة).

3 - صحيح البخاري (ج 1/ص 302 ط جديدة المكتبة العصرية 1995).

Scanné avec CamScanner

يقول في فتح القدير كتاب الحج باب زيارة النبي صلى الله عليه وسلم (1): " ويسأل الله حاجته متوسلا إلى الله بحضرةنبيه ثم قال : يسأل النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة فيقول يا رسول الله أسألك الشفاعة يا رسول الله اتوسل إليك إلى الله" .

- 4 – الإمام الشافعي : رضي الله عنه (توفي سنة 204ه)

روى الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في التاريخ بسند صالح : أن الإمام الشافعي رضي الله عنه أيام كان ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه يجيء إلى ضريحه يزوره فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته (2) ونقله العلامة إبن حجر في كتابه الخيرات الحسان مع قول الشافعي متوسلا بأهل البيت النبوي :

(3) آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي // أرجو بهم أعطى غدا بيد اليمين صحيفتي

-يقول الإمام الشافعي من خلال ما جاء في كتاب البصائر لمنكري التوسل بأهل المقابر (4) إني لأتبرك بأبي حنيفة رحمة الله عليه وأجيء إلى قبره فإذا عرضت لي حاجة صليت ركعتين وسألت الله عند قبره فتقضى سريعا .

- 5 – الإمام أحمد بن حنبل : رضي الله عنه (توفي سنة 24ه).

نقل العلامة يوسف النبهاني في شواهد الحق في الإستغاثة بسيد الخلق توسل أحمد بن حنبل بالإمام الشافعي رضي الله عنه حتى تعجب إبنه عبد الله إبن أحمد بن حنبل من ذلك فقال له الإمام أحمد : أن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن (5)

- 6 – الإمام الترمذي : رضي الله عنه (توفي سنة 279 ه) قد جوز التوسل ، حيث أخرج تحت باب ما جاء في الإستفتاح بصعاليك المسلمين حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إبغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم (6)

- 7 – الإمام النووي : رضي الله عنه (توفي سنة 276ه):

قال: إنه يستحب إذا كان فيهم رجل مشهور بالصلاح أن يستسقوا به فيقولوا اللهم إنا نستسقي ونستشفع إليك بعبدك فلان كما روى البخاري أن عمر رضي الله عنه استسقى بالعباس رضي الله عنه . (7)

- 8 – الإمام الغزالي : رضي الله عنه (توفي سنة 505 ه)

---

1 - نافع من موالي عبد الله إبن عمر توفي سنة 117ه.

2 - فتح القدير ج 2 ص 337 .

3 - الخطيب البغدادي في التاريخ ج 1 ص 123.

4 - إبن حجر الهيثمي : الصواعق المحرقة ص 180.

5 - ص 54 - البصائر - حمد الله الداجوي.

6 - شواهد الحق ص 166.

7 - كتاب الأذكار ، باب الأذكار في الإستسقاء ص 160.

Scanné avec CamScanner

يقول في باب الزيارة وآدابها : يقول الزائر اللهم قصدنا نبيك مستشفعين به إليك في ذنوبنا وقال في آخره ونسألك بمنزلته عندك وحقه إليك (1)

– و – الإمام الشوكاني : رضي الله عنه (توفي سنة 51250).

قال في تحفة الذاكرين بعد ذكر حديث عثمان بن حنيف : وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل ، وقال فيه : يتوسل إلى الله بأنبيائه والصالحين (2)

– وفي رسالته الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد يقول : أن التوسل به صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وبعد موته ، وفي حضرته ومغيبه ، ولا يخفاك أنه ثبت التوسل به صلى الله عليه وسلم في حياته ، وثبت التوسل بغيره بعد موته بإجماع الصحابة إجماعا سكوتيا لعدم إنكار أحد منهم على عمر رضي الله عنه في توسله بالعباس. (3)

– أثبت أيضا الشوكاني التوسل بذوي الصلاح في كتابه نيل الأوطار (4)حيث نقل في شرح حديث استسقاء عمر بالعباس عبارة فتح الباري قال: يستفاد من قصة العباس رضي الله عنه إستحباب الإستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة .

* يتضح من خلال أقوال السلف هؤلاء أن التوسل جائز والإجماع هو الحق الصراح وماذا بعد الحق إلا الضلال .

الباب الثالث

المفهوم بلفظ آخر

– الفصل الأول الدعاء : 1– لغة : مصدر دعوت الله ، أدعوه دعاء ودعوى ، أي ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ، وهو بمعنى النداء يقال : دعا الرجل دعوا، ودعاء أي ناداه ودعوت فلانا : صحت به واستدعيته ..... ودعاء يدعوه دعاء ودعوى : أي رغب إليه ، ودعا زيدا : استعانه ، ودعا إلى الأمر : ساقه إليه (5)

2 – وإصطلاحا : الكلام الإستثنائي الدال على الطلب مع الخضوع ،ويسمى أيضا سؤالا (6)

---

1 - إحياء علوم الدين ج 1 ص 360.

2 - تحفة الذاكرين للشوكاني ص 163.

3 - نقل عبارته محمد عبد الرحمان بن عبد الرحيم في تحفة الأحوذي ج 4 ص 282.

4 - نيل الأوطار للشوكاني ج 4 ص 08 .

5 - لسان العرب الموسوعة الفقهية ج 20 / كلمة دعاء.

6 - قواعد الفقه للبركتي/الموسوعة الفقهية ج 20 كلمة دعاء .

Scanné avec CamScanner

وقد قال الخطابي : حقيقة الدعاء استدعاء العبد من ربه العناية وإستمداده إياه المعونة وحقيقتـــه إظهـــار الإفتقار إليه والبراءة من الحول والقوة التي له ، وهو سمة العبودية وإظهار الذلة البشرية ، وفيه معنى الثناء على الله وإضافة الجود والكرم إليه. (1)

- يقال:دعا الله ، إذا ناداه بابتهال وخضوع ، ودعاء الله هو عبادته ، لأن فيهما معا التذلل والخضوع قال تعالى : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليومنـــوا بي لعلهم يرشدون﴾ (2) وقال : ﴿ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ﴾ غافر 60.

وقال أيضا : ﴿ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أوأتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ﴾ .

﴿ بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون ﴾ (3)

- وقد ورد معنى الدعاء في القرآن بمعان منها :

(الإستغاثة –العبادة – النداء – الطلب – السؤال من الله).

- ومن الألفاظ ذات الصلة كذلك الإستغفار .

3 –الحكم التكليفي للدعاء : قال النووي : إن المذهب المختار الذي عليه الفقهـــاء والمحدثـــون وجماهـــير العلماء من الطوائف كلها من السلف والخلف أن الدعاء مستحب (4)

– وقد يكون الدعاء واجبا كالدعاء الذي تضمنته سورة الفاتحة أثناء الصلاة ، في صلاةالجنـــازة وخطبـــة الجمعة .

– وعلى هذا فالدعاء يكون بمعنى طلب الإقبال، والنداء ومنه قوله تعالى : ﴿ لاتجعلوا دعـــاء الرســـول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ﴾ (5) وفي الأثر وردت أحاديث صحيحة في الدعاء منها:

4 – وروده في السنة :

– حدثنا محمد بن محبوب ، حدثنا أبو عوانة ، عن قتادة ، عن أنس رضي الله عنه : قال بينما النبي يخطـــب يوم الجمعة ، فقام رجل فقال : يارسول الله أدع الله أن يسقينا فتغيمت السماء ومطرنا ، حتى مـــا كـــاد الرجل يصل إلى منزله ، فلم تزل تمطر إلى الجمعة المقبلة ، فقام ذلك الرجل أو غيره ، فقـــال : أدع الله أن يصرفه عنا فقد غرقنا ، فقال اللهم حوالينا ولا علينا ، فجعل السحاب يتقطع حول المدينة ، ولا يمطر أهل المدينة (6) وحدثنا إسماعيل قال : حدثني مالك ،، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله

---

1 - إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ج5/ ص 27 -28.

2 - البقرة 185.

3 - الأنعام 40-41

4 - الأذكار للنووي / الموسوعة الفقهية ج 20 كلمة دعاء .

5 - النور 63.

6 - صحيح البخاري ص1995 من الجزء 4 طبعة جديدة لسنة 1995 كتاب الدعوات.

Scanné avec CamScanner

صلى الله عليه وسلم قال: "لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة للأمـــتي في الأخرة " (1)

– وعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أحز به أمر قال: " يـا حـي يـاقيوم برحمتك أستغيث"(2).

– قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولاقزعة ومابيننا وبين سلع من بيت ولادار، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ،فـلا والله مـا رأينـا الشمس سبتا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله صلى الله عليه وسـلم قـائم يخطب فاستقبله قائما فقال: يا رسول الله هلكت الأموال وإنقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا ، فرفـع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: "اللهم حوالينا ولاعلينا اللهم على الآثام والظراب وبطـون الأودية ومنابت الشجر"فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس . (3)

– عن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلىالله عليه وسلم : يجمـع الله تبـارك وتعالى الناس يوم القيامة فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا إستفتح لنـا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك إذهبوا إلى إبـني إبراهيـم خليل الله ، قال:فيقول إبراهيم عليه السلام : لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلا من وراء ، اعمدوا عليه السلام الذي كلمه الله تكليما ، فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك إذهبوا إلى عيسى كلمـة الله وروحه ، فيقول عيسى عليه السلام : لست بصاحب ذلك ، فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم : فيقـول فيؤذن له وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا فيمر أولكم كالبرق"(4)

• إن التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بمعنى طلب الدعاء منه في حياته قد ثبت بالتواتر ، فقد كـان الصحابة يسألون النبي الدعاء في الأمور الدنيوية والأخروية وقد أرشدهم القرآن إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله وإستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) (5)

وفي حديث الضرير ما يفيد ذلك وفي السنة من ذلك الشيء الكثير، وقد إتفق العلماء علـى أن التوسـل بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة أي طلب الدعاء منه صلى الله عليه وسلم في عرصات القيامة لأن

---

1 - البخاري باب لكل نبي دعوة مستجابة ص 1983 من الجزء 4 نفس الطبعة.

2 - أخرجه الترمذي (539/5ط- الحلبي) وقال : هذا حديث غريب

3 - أخرجه مسلم (612/2-613-ط : الحلبي)

4 - أخرجه مسلم (181/180/1-ط- الحلبي) ومثله حديث أنس بن مالك (إذاكان يوم القيامة ماج الناس) أخرجه البخاري (ج 4/ص 3342)

5 - النساء: 64

يشفع للخلق عند ربهم واقع لامحالة وبالتالي فلا خلاف بين العلماء في جواز التوسل بالنبي وطلب الدعاء منه في الدنيا والشفاعة في الآخرة .

فالتوسل بدعائه تسبب به لحصول المقصود ، والدعاء من العمل الصالح بل هو مخ العبادة (1) فالنبي أو الولي وسيلة مبتغاة تشملها الآية والدعاء المطلوب منه كذلك لأنه يتوصل به إلى نيل المقصود ويتقرب العبد به إلى مولاه من حيث طلبه من التوسل به ، فإنه كما يطلب الدعاء من العبد المتوسل مباشرة كذلك يطلب منه بواسطة المتوسل به وعلى هذا فالتوسل بالأنبياء والأولياء بمعنى طلب الدعاء منهم توسل لهم وتوسل بدعائهم . (2)

- فقدحدثنا محمد قال : أخبرنا أبو ضمرة أنس بن عياض قال : حدثنا شريك بن عبد الله بن أبي نمر: أنه سمع أنس بن مالك يذكر ، أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ، ورسول الله قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا . قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال : اللهم اسقنا ، اللهم اسقنا ، اللهم إسقنا ، قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ، ولاشيئا . وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، قال : فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت ، قال: والله ما رأينا الشمس سبتا ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب ، فاستقبله قائما فقال : يا رسول الله هلكت الأموال وإنقطعت السبل فادع الله يمسكها، قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال : " اللهم حوالينا ولاعلينا اللهم على الأكام والجبال ، والأجام والظراب، والأودية ومنابت الشجر " قال : فانقطعت ، وخرجنا نمشي في الشمس .

قال شريك : فسألت أنسا : أهو الرجل الأول ؟ قال: لاأدري . (3)

الفصل الثاني : الإستفتاح :

-لغة : طلب الفتح والفتح نقيض الإغلاق ، ومنه فتح الباب ، واستفتحه إذ طرقه ليفتح له ، ويكون الفتح أيضا بمعنى القضاء والحكم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ربنا إفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ (4)

- وفي حديث إبن عباس : " ما كنت أدري ما قول الله تعالى : ﴿ ربنا إفتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ حتى سمعت بنت دي يزن تقول لزوجها : تعال أفاتحك أي أحاكمك " و الإستفتاح طلب القضاء ويكون الفتح بمعنى النصر، وإستفتح : طلب النصر ومنه الآية ﴿ وإن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ .

---

1 - مستوحى من كتاب الموسوعة الفقهية ص 154-155-156/جزء 14.

2 - رسالة في التوسل لمحمد حسنين مخلوف في كتاب الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ص5.

3 - صحيح البخاري (ج 1 ص 303 باب الإستسقاء في المسجد الجامع كتاب الوتر ط 1995 المكتبة العصرية بيروت .

4 - الأعراف 89.

Scanné avec CamScanner

-وفي تاج العروس في المستدرك على ما قاله الفيروز أبادي : إن فتح عليه يكون ، بمعنى عرفه وعلمه ، قال، وقد فسر به قوله تعالى : ﴿ قالو أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ (1)

المعنى الإصطلاحي : يستعمل الفقهاء الإستفتاح بمعان :

الأول : إستفتاح الصلاة ، وهو الذكر الذي تبدأ به الصلاة بعد التكبير ، وقد يقال له : دعاء الإستفتاح ، وإنما سمي بذلك لأنه أول ما يقول المصلي بعد التكبير فهو يفتتح به صلاته أي يبدؤها به .

الثاني : إستفتاح القارىء إذا أرتج عليه أي استغلق عليه باب القراءة ، فلم يتمكن منها فهو يعيد الآية ويكررها ليفتح عليه من يسمعه (2)

الثالث: طلب النصرة ، فقد روى فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير الجزء 3 ص 200 كانوا يستفتحون أي يسألون الفتح والنصرة ، يقولون اللهم إفتح علينا وانصرنا بالنبي الأمي .

*حكمه: قال جمهور الفقهاء : الإستفتاح سنة لماورد في الأحاديث التي سيأتي ذكرها في الصيغ المأثورة في الإستفتاح ، وذهبت طائفة من أصحاب الإمام أحمد إلى وجوب الذكر الذي هو الثناء (3)

- فقد قال تعالى في شأن اليهود : ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ (4) وهنا الإستفتاح بمعنى قولهم اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي صلى الله عليه وسلم وقد روى أبو نعيم من طريق عطاء والضحاك عن إبن عباس قال : كانت يهود بني قريضة والنظير من قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون الله ويدعون على الذين كفروا ، يقولون اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الأمي إلا نصرتنا فينصرون فلما جاءهم ما عرفوا - يريد محمدا صلى الله عليه وسلم - ولم يشكوا فيه كفروا به ولهذا الأثر طرق ذكرها الحافظ عبد الله بن محمد بن الصديق في الرد المحكم المتين (5)وقال المحمود الألوسي في تفسيره : نزلت في بني قريضة كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ... و المعنى : يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين كما روى السدي : أنه كان إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين أخرجوا التوراة ووضعوا أيديهم موضع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا نسألك بحق نبيك الذي وعدتنا أن تبعث في آخر الزمان أن تنصرنا على عدونا اليوم فينصرون (6) وهو تفسير نجده كذلك في تفسير البغوي والنفسي " ووجه الدلالة من هذه الآية ظاهر فإن الله سبحانه أقر إستفتاح اليهود بالرسول ولم ينكره عليهم وإنما

---

1 - الموسوعة الفقهية ج 4 ط 2 1408 1988 الكويت وزارة الأوقاف .

2 - نفس المصدر السابق

3 - الموسوعة الفقهية ج 4

4 - البقرة 89 (... على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنت الله على الكافرين)

5 - من كتاب اتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء لأبي الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق / الدليل الثاني

6 - ص 320 / ج 1 من روح المعاني .

Scanné avec CamScanner

ذمهم على الكفر والجحود بعد أن شاهدوا من بركة الإستفتاح بالنبي صلى الله عليه وسلم ما لاينكره إلا من كان أعمى القلب والبصيرة مثلهم نسأل الله العافية . (1)

- هذا الإستفتاح هو بمثابة توسل اليهود به صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فقد جاء في تفسير القرطبي قال :

- قوله تعالى : ولما جاءهم : يعني اليهود

كتاب : يعني القرآن

من عند الله مصدق : نعت لكتاب ويجوز في غير القرآن نصبه على الحال .

لما معهم : يعني التوراة والإنجيل يخبرهم بما فيها .

وكانوا من قبل يستفتحون : أي يستنصرون والإستفتاح : الإستنصار ، إستفتحت إستنصرت ، وفي الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح بصعاليك المهاجرين أي يستنصر بدعائهم وصلاتهم ومنه فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، والنصر :فتح شيء مغلق فهو يرجع إلى قولهم : فتحت الباب. (2)

- وجاء عن إبن عباس قوله : كانت يهود خيبرتقاتل غطفان فلما إلتقوا هزمت يهود فدعت يهود بهذا الدعاء وقالوا : اللهم إنا نسألك بحق محمد (3)

- وقد جاءت في السنة المطهرة روايات تفيد طلب النصرة والإستفتاح مثل :

- حدثنا سليمان بن جرب ، حدثنا محمد بن طلحة عن طلحة ، عن مصعب بن سعد قال : رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلا على من دونه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم (4)

- وروى الترمذي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إبغوني في ضعفائكم فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم " (5)- وروى النسائي عن أبي سعيد الخذري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم ".

3 - الإستشفاع :الفصل الثالث : الإستشفاع

1 - لغة وإصطلاحا:

- من شفع لي ، يشفع شفاعة ، وتشفع : طلب

---

1 - إتحاف الأذكياء للحافظ عبد الله بن محمد بن الاصديق ، الدليل II ص16

2 - من تفسير القرطبي (ج 2 ص 26و 27)

3 - هذا القول هو المشهور في كتب التفاسير المعتمدة ونقله أئمة التفسير كابن كثير والطبري والألوسي والبغوي والشوكاني من قلم بعض كبار علماء السودان جاء ملحقا في كتاب مفاهيم يجب أن تصحح (ص322)

4 - جامع الترمذي ص 261.

5 - جامع الترمذي ص 261

و الشفيع: الشافع والجمع شفعاء

وإستشفع بفلان على فلان وتشفع له إليه فشفعه فيه .

- وقال الفارسي: إستشفعه طلبت منه الشفاعة أي قال له كن لي شافعا

- وقال تعالى : ﴿ ومن يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ، ومن يشفع شفاعة سيئة يكون له كفل منها ﴾(1) وقرأ أبو الهيثم : من يشفع شفاعة حسنة أي يزداد عملا إلى عمل .

وروى عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تعالى ﴿ من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه ﴾ : (2): الشفاعة الدعاءله هنا

والمشفع : الذي يقبل الشفاعة ، والمشفع : الذي تقبل شفاعته (3)

* الصحابة يسألون النبي الشفاعة :

-لقد تبث أن بعض الصحابة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الشفاعة ولم يقل لهم إن طلبكم الشفاعة مني شرك فاطلبوها من الله ولاتشركوا به أحدا .

- فهذا أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : يا نبي الله إشفع لي يوم القيامة فيقول له صلى الله عليه وسلم أنا فاعل إن شاء الله (4)

- وهذا سواد بن قارب يقول بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أقره على طلبه :

وأشهد أن الله لارب غيره : : وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة : : إلى الله يا إبن الأكرمين الأطايب

إلى أن يقول : فكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة : : سواك بمعن عن سواد بن قارب(5)

- وطلبها منه أيضا مازن بن العضوب لما جاء مسلما وأنشد يقول :

إليك رسول الله خبت مطيتي : : تجوب الفيا في من عمان إلى العرج

لتشفع لي ياخير من وطئ الحصا : : فيغفرلي ربي فأرجع فالفلج (6)

- ويقول المالكي الحسني في كتابه مفاهيم يجب أن تصحح (7) : ذكر الشيخ إبن تيمية في الفتاوي تحليلا نفيسا للآيات الواردة في منع الشفاعة وعدم الإنتفاع بها والنهي عن طلبها مع أن هذه الآيات هي التي يستدل بها بعضهم على منع طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا ويظهر من كلام الشيخ

---

1 -

2 -سورة البقرة الآية :

3 - لسان العرب لإبن منظور ص 344م 3 دارالجيل ودار لسان العرب بيروت ط 1988

4 - رواه الترمذي في السنن في باب ما جاء في صفة الصراط وقال حديث حسن (ص 160 من مفاهيم للعلوي.)

5 - ذكره الحافظ إبن حجر في فتح الباري ج 7 180 باب إسلام عمر

6 - رواه أبو نعيم في دلائل النبوة ص 77

7 - ص 163 من الكتاب

Scanné avec CamScanner

ابن تيمية في معنى تلك الآيات أن الإستدلال بها على ما يزعمون في غير محله وتحريف لها عن مواضعهـــا .
قال الشيخ : واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى : ﴿ واتقوا يوما لاتجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ﴾ وبقوله : ﴿ ما للظالمين من حميم ولاشفيع يطاع ﴾ وبقوله : ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ . وجواب أهل السنة أن هذا يراد به شيئان :
- أحدهما : أنها لاتنفع المشركين كما قال تعالى : ﴿ ما سلككم في سقر قالو لم نك من المصلين ولم نــك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فمـــا تنفعهـــم شـــفاعة الشافعين ﴾ فهؤلاء نفى عنهم شفاعة الشافعين لأنهم كانوا كفارا .
- والثاني : أنه يراد بذلك نفي الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدعة مـــن أهـــل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع النـــاس بعضهم عند بعض ، فيقبل المشفوع إليه شفاعة شافع لحاجته إليه رغبة ورهبة وكما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة ......(انتهى).
- فالشفاعة لاتنفع المشركين والآيات واردة في القضية كما أنها منفية عند أهل الشرك الذين يعتقدون أن الشافع يملك ذلك بغير إذنه سبحانه ، ولا يقع شيء إلا برضاه .
الفصل الرابع : الإستغاثة :
* 1 -الإستغاثة لغة :- طلب الغوث والنصر، الغوث يقال في النصرة والغيث في المطر وأستغثته: طلبت الغوث أو الغيث(1) . يقول السيد :زين آل سميط (هي طلب الإغاثة والمعونة ممن يسعفه ويدفع عنه عند الوقوع في شدة ونحوها) (2)
- قال تعالى : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ (3) وقال: ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) (4)
* 2 - والإستغاثة شرعا : لاتخرج في المعنى عن التعريف اللغوي حيث تكون للعون وتفريج الكروب .
* 3 - الألفاظ ذات الصلة :
1- الإستخارة - 2 - الإستغاثة .
1- الإستخارة لغة : طلب الخيرة في الشيء وإصطلاحا : طلب صرف الهمة لما هو المختار عند الله والأولى بالصلاة والدعاء (5) فالإستخارة أخص لأنها لاتطلب إلا من الله .

---

1 لسان العرب مادة غوث / مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص 617
2 - ص 15 من كتاب مسائل كثر حولها النقاش والجدل
3 - الأنفال 9
4 - القصص 15
5 - لسان العرب مادة (خير)

Scanné avec CamScanner

3- الإستغاثة : طلب العون أستغيث بفلان طلب معونته فأعانني وعاونني وتكون من العباد فيما يقدرون عليه ومن الله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾(1) فالفرق أن الإستغاثة لاتكون إلا في الشدة .

• 4- حكم الإستغاثة :

- للإستغاثة أربعة أحكام : الأول: الإباحة وذلك في طلب الحوائج إذا كانوا يقدرون عليها ومن ذلك الدعاء فإنه يباح طلبه من كل مسلم بل يحسن ذلك - فله أن يستغيث بالمخلوقين أولا يستغيث ولكن لايجب أن يطلب منهم على جهة السؤال والذل والخضوع والتضرع لهم كما يسأل الله تعالى لأن مسألة المخلوقين في الأصل محرمة ولكنها أبيحت عند الحاجة والضرورة والأفضل الإستعفاف عنها (2)، إلآ إذا ترتب على ترك الإستغاثة هلاك ، أو حد أو ضمان ، فإنه يجب عليه أن يدفع بالإستغاثة أولا.

الثاني : الندب ، وذلك إذا إستغاث بالله أو بصفة من صفاته في الشدة والكرب (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) (3)الآية .

الثالث : الوجوب ، وذلك إذا ترتب على ترك الإستغاثة هلاك أو ضمان ، فإن تركه مع وجوبه أثم .

الرابع : التحريم ، وذلك إذا إستغاث بمن لا يملك في الأمور المعنوية القوة أو التأثير ، سواء كا ن المستغاث به إنسانا أو جنا أو ملكا أو نبيا في حياته، أو بعد مماته (ولاتدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) (4)

5 - أنواع الإستغاثة:

- الإستغاثة بالله تكون في الأمور المادية والمعنوية : 1- المادية : أجمع علماء الأمة على إستحباب الإستغاثة بالله سواء أكان ذلك من قتال عدو أو نحوه لإستغاثة الرسول صلى الله عليه وسلم بالله في موقعه بدر ، وقد أخبرنا القرآن بذلك في قوله: ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ (5)

2- المعنوية : تستحب الإستغاثة في الأمور المعنوية بالقوة والتأثيروفيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى مثل (إنزال المطر - شفاء المريض، كشف الضر)

وقد يستغاث بإسم الله أو بصفة من صفاته لماروي عن أنس بن مالك قال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمر قال : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث).(6)

- الإستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم : أقسام وهي من خلال الموسوعة الفقهية كالتالي:

---

1 - الفاتحة 5 : هذا الحكم مأخوذ من الموسوعة الفقهية ص 4/22 وزارة الأوقاف الكويت .

2 - الإستغاثة لابن تيمية ص 139.

3 - سورة النمل 62

4 - سورة النمل 62.

5 - سورة يونس/ 106

6 - الترمذي (267/4).

Scanné avec CamScanner

1- الإستغاثة بالرسول فيما يقدر عليه وقد إتفق الفقهاء على أن الإستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم وبكل مخلوق حال حياته فيما يقدر عليه تجوز لقوله تعالى : ﴿ فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ﴾ (1)

2- الإستغاثة بالرسول بعد موته وتضاربت حوله المواقف و الأقوال والقول الأول يجاوز التوسل والإستغاثة بالأنبياء والصالحين حال حياتهم وحتى بعد موتهم ، فقدتبناه مجموعة منهم : مالك، والسبكي والكرماني والنووي والقسطلاني والسمهودي ، وإبن الجزري ، وإبن الحاج (2)

والقول الثاني وفيه يجيز العز بن عبد السلام وبعض العلماء الإستغاثة بالله متوسلا بالنبي صلى الله عليه وسلم والصالحين حال حياتهم وزوي عنه أنه قصر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وحده.

على أن القول الثالث: يقول بعدم جواز الإستغاثة إلا الله سبحانه وتعالى وصاحبه إبن تيمية ومن سار على نهجه من المتأخرين . (3)

3- أن يستغيث العبد بالله تعالى متقربا برسوله صلى الله عليه وسلم

كأن يقول : اللهم إني أتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن تفعل كذا .

4- الإستغاثة بذات الرسول صلى الله عليه وسلم .

5 - الإستغاثة بالملائكة : الإستغاثة بهم هي الإستغاثة بغير الله وهي ممنوعة لقوله عليه السلام :

" لما ألقي إبراهيم في النار اعترضه جبريل، فقال له ألك حاجة ؟ فقال : أما إليك فلا " (4)

6 - الإستغاثة بالجن : محرمة لأنها تؤدي إلى الضلال كما أنها إستغاثة بمن لايملك ويقول سبحانه : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادهم رهقا ﴾. (5)

: الفصل الخامس: الإستعانة

1 -الإستغاثة لغة: طلب العون ، يقال: استغثه وإستغث به فأعانني (6)

2- والمعنى الإصطلاحي: لايخرج عن المعنى اللغوي.

* 3- حكمها التكليفي:

- الإستعانة هي إما إستعانة بالله ، أو إستعانة بغيره.

- الإستعانة بالله : مطلوبة في كل شي : مادي : مثل قضاء الحاجات كالتوسع في الرزق

---

1 - القصص 15

2 - القسطلاني (304/8). (والمجموع للنووي ج8ص274) . (أنظر الموسوعة الفقهية ص 24 ج4) دار الأندلس (في تفسيره-(45/17. مصطفى الحلبي).

3 - مجموع فتاوي إبن تيمية (1/ 104)

4 - أخرجه الطبري من حديث معتمربن سليمان التيمي وإبن كثير في تفسيه (527/4) دار الأندلس .(في تفسيره:45/17 مصطفى الحلبي).

5 - سورة الجن 6.

6 -لسان العرب لإبن منظور مادة عون.

Scanné avec CamScanner

- ومعنوي: مثل تفريج الكروب مصداقا لقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ (1)

وتكون الاستعانة بالتوجه إلى الله تعالى بالدعاء، كما تكون بالتوجه إليه تعالى بفعل الطاعات لقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ (2)

- أما الاستعانة بغير الله : إما أن تكون بالإنس أو بالجن :

- الاستعانة بالجن: فهي ممنوعة وقد تكون شركا وكفرا لقوله تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾(3)

-الاستعانة بالإنس: اتفق العلماء على جوازها فيما يقدر عليه من خير لقوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان﴾(4) وقد تكون واجبة في حالة الإضطرار كما لو وقع في تهلكة وتعينت الإستعانة طريقا للنجاة وعلى هذا فالإستعانة تعتريها الأحكام التكليفية من وجوب وتحريم وندب(5)

د - ورودها في السنة :

- ولقد جاء في السنة المطهرة من الأحاديث ما يدل على إعانة المحتاج وإغاثة الملهوف، تصور لنا كيف كان الصحابة يستعينون به صلى الله عليه وسلم ويستغيثون ويطلبون منه الشفاعة ويشكون حالهم إليه من الفقر والمرض والبلاء والدين والعجز ويفزعون إليه عند الشدائد ويطلبون منه ويسألونه معتقدين أنه ليس إلا واسطة وسببا في النفع والضر والفاعل حقيقة هوالله .

- جاء في الصحيح عند الإمام البخاري وغيره أن أبي هريرة رضي الله عنه شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم النسيان لما يسمعه من الأحاديث الشريفة وهو يريد أن يزول عنه ذلك فقال رضي الله عنه يارسول الله : إني أسمع منك حديثا كثيرا فأنساه فأحب أن لاأنسى فقال صلى الله عليه وسلم : أبسط ردائك فبسطه فقذف بيده الشريفة من الهواء في الرداء ثم قال ضمه فضمه قال أبو هريرة : فما نسيت شيئا بعد (6)

- وفي الصحيح كذلك : باب : (لايظلم المسلم المسلم ولايسلمه): حدثنا يحيى بن بكير ، حدثنا الليث عن عقيل عن إبن شهاب أن سالما أخبره أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله صلى الله

---

1 - سورة الفاتحة .5.

2 - سورة البقرة 45

3 - سورة الجن 6

4 - صحيح البخاري ج 2 ص 732 طبعة جديدة 1995.

5 - سورة المائدة 2.

6 - من كتاب الموسوعة الفقهية ج 4 ص 17 .

Scanné avec CamScanner

عليه وسلم قال : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته و من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة ".(1)

- وروى مسلم وأبوداود وغيرهما عنه عليه الصلاة والسلام: " والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه " (2)

أما قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا سألت فاسأل الله وإذا إستعنت فإستعن بالله" وهو طرف من الحديث المشهور الذي رواه الترمذي وصححه عن إبن عباس ، مرفوعا: فيقول العلوي المالكي كما قال غـيره، في كتابه: مفاهيم يجب أن تصحح: والحق أن هذا الحديث الشريف ليس المقصود به النهـي عـن السـؤال والإستعانة بما سوى الله كما يفيده ظاهرلفظه وإنما المقصود به النهي عن الغفلة عن أن ما كان من الخـير على يد الأسباب فهو من الله ، والأمر بالإنتباه إلى أن ما كان من نعمة على يد المخلوقات فهو من الله وبالله ، فالمعنى إذا أردت الإستعانة بأحد من المخلوقين ولا بد لك منها فأجعل كل إعتمادك على الله وحـده ولا تحجبنك الأسباب عن رؤية المسبب جل جلاله ويشير لهذاالمعنى من خلال قوله صلى الله عليه وسلم عقب هذه الجملةالشريفة وأعلم أن الأمة لو إجتمعت على أن ينفعوك لم ينفعوك إلابشيء قد كتبه الله لـك وإن إجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . (3)

الفصل السادس :الإستغفار : في اللغة والإصطلاح:

لغة : طلب المغفرة بالمقال والفعال(4)

- وعند الفقهاء : سؤال المغفرة كذلك والمغفرة في الأصل : الستر ويراد بها التجاوز عن الذنب وعـدم المؤاخذة به وأضاف بعضهم : إما بترك التوبيخ والعقاب رأسا أو بعد التقريربه فيما بين العبد وربه (5)

-ويأتي الإستغفار بمعنى الإسلام كما يأتي بمعنى الدعاء والتوبة .

2 - الألفاظ ذات الصلة : 1 + التوبة 2+ الدعاء.

1- التوبة : الإستغفار و التوبة يشتركان في أن كل منهما رجوع إلى الله سبحانه كذلك يشتركان في طلب إزالة ما لا ينبغي إلا أن الإستغفار طلب من الله ، والتوبة سعي من الإنسان في إزالته .

2 - الدعاء: كل دعاء فيه سؤال الغفران فهو إستغفار .

---

1 - البخاري كتاب العلم.

2 - من الأحاديث المستدل بها في كتاب مفاهيم يجب أن تصح ص 178 للعلوي المالكي ط 1993

3 - ص 177 من كتاب مفاهيم يجب أن تصحح .

4 - مفردات الر اغب الأصفهاني (غفر)ص 609 تحقيق صفوان عدنان داوودي: دار القلم دمسق

5 - البحر المحيط 201/5 ط السعادة

Scanné avec CamScanner

د - الحكم التكليفي للاستغفار : الأصل في الإستغفار أنه مندوب إليه لقول الله سبحانه ﴿ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴾ (1) يحمل على الندب لأنه قد يكون من غير معصية ، لكنه قد يخرج عن الندب إلى الوجوب كإستغفار النبي صلى الله عليه وسلم وكالإستغفار من المعصية .

• تفسير مقتضب للآية :

- ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فإستغفروا الله وإستغفرلهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾

- والزمخشري في الكشاف يرى أنهم إذظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين من أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوالي الإعتذار إليك من إيدائك برد قضائك حتى إنتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا أي لتاب عليهم ....(2)

الباب الرابع : موقف علماء الشرع من التوسل :

*موافق نستهلها بهذين القولين :

- يقول الشيخ يوسف السيد هاشم الرفاعي : (والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة ، صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد وفاته وكذابغيره من الأنبياء والمرسلين والأولياء الصالحين...) (3)

- ويقول الشيخ السيد زين آل سميط : " قال السيد الإمام أحمد بن زيني دحلان رحمه الله والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة جواز التوسل والإستغاثة بالأحياء والأموات لأنا لانعتقد تأثيرا ولا نفعا ولا ضرا إلا لله وحده لاشريك له والأنبياء لا تأثير لهم في شيء وإنما يتبرك بهم ويستغاث بمقامهم لكونهم أحباء الله تعالى ..."(4)

- إن المتفق عليه من التوسل بين المسلمين هوالتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالأعمال الصالحة فمن صام أو صلى أو قرأ القرآن أو تصدق فإنه يتوسل بصيامه وصلاته وقراءته وصدقته بل هو أرجى في القبول وأعظم في نيل المطلوب لايختلف في ذلك إثنان والدليل على هذا حديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار... وهذا النوع من التوسل قد فصله وبين أدلته وحقق مسائله الشيخ إبن تيمية رحمه الله في كتبه وخصوصا في رسالته قاعدة جليلة في التوسل والوسيلةلكن محل الخلاف في مسألة التوسل هو التوسل بغير عمل المتوسل

---

1 - الموسوعة الفقهية ج 4 ص 35 إصدار وزارة الأوقاف الكويت

2 - مأخوذ من كتاب إتحاف الأذكياء للحافظ عبد الله بن محمد بن الصديق .

3 - ص 86 من كتابه الرد المحكم المنيع على منكرات وشبهات إبن منيع

4 - ص 16 من كتاب مسائل كثر حولها النقاش والجدل

Scanné avec CamScanner

كالتوسل بالذوات والأشخاص بأن يقول : اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو أتوسل إلا بأبي بكر الصديق أو بعمر بن الخطاب أو بعثمان أو بعلي رضي الله عنهم . فهذا الممنوع عند بعضهم (1)

- لذلك فإن المواقف في مسألة التوسل تبددت إلى قسمين بارزين:

﴿1 – مواقف إثبات :﴾

﴿2 – مواقف إنكار :﴾

الفصل الأول : أهل الإثبات :

1 – أهل الإثبات : منهم الكثير لكن نكتفي بذكر البعض الذين من خلالهم سنتعرف على المواقف المؤيدة للتوسل بجميع صوره وأنواعه .

1 – الشيخ محمد حسنين مخلوف: وكيل الجامع الأزهر ومديرالمعاهد الدينية سابقا له رسالة طويلة في حكم التوسل بالأنبياء والأولياء هي موجودة في كتاب الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب يقول فيها : أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بالنبي أوالولي ويريد طلب الدعاء منه كان يقول المتوسل : اللهم إني أتوسل إليك بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بآل البيت أو فلان الولي ، أو أتوجه إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم أن تقضي حاجتي أو تشفي مريضي أو ترد ضالتي أو ترزقني أو تدخلني الجنة ويريد طلب الدعاء منه ليكون كلاهما داعيا متوجها إلى الله تعالى وكأنه قال: أطلب منك ياالله أن تقضي حاجتي متوسلا إليك بنبيك أو وليك طالبا منه أن يسألك قضاء حاجتي وكذلك إذا قال : يا رسول الله أو ياسيدي فلان أطلب منك أن تدعو الله بقضاء حاجتي أو قال : يا فلان أدع لي فيستشفع به عند الله تعالى كما يستشفع أحدنا بصاحبه عند آخر ليسأله رفع مضلمة أو جلب مصلحة فهذا ونحوه مما لانزاع في جوازه لقوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه . (2)

- ويقول في موضع آخر : التوسل بالذات : وهو أن يتوسل الإنسان بالأنبياء والصالحين على معنى الإستشفاع بذواتهم وجعلها وسيلة عند الله تعالى لبلوغ مآرب المتوسلين لما لهم عند الله تعالى من الزلفى والكرامة بدون أن يطلبوا منهم دعاء ولا أن يسندوا إليهم أفعالا كأن يقول المتوسل :اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو بفلان الصالح أن تقضي حاجتي أو ترزقني أو تشفي مريضي فهذا ونحوه أيضا لاشيء فيه ولا وجه لمنعه لأن كون الله تعالى يشفي المريض أو ينقذ الغريق أو يرحم المسكين أو لا يعذب العاصين كرامة لنبيه أو وليه حيا أو ميتا شعر بذلك أم لم يشعر أمر جائز واقع لا مرية فيه (3)

---

1 – مفاهيم يجب أن تصحح ص 177 للعلوي المالكي الحسني

2 – ص 03 و 04 من رسالة محمد حسنين مخلوف في حكم التوسل بالأنبياء والأولياء (كتاب الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية).

3 – ص 17 و 18 من رسالة محمد حسنين مخلوف في التوسل (الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية)

Scanné avec CamScanner

- دليله في ذلك : لقد استدل الشيخ حسنين مخلوف بمجموعة من الأدلة النقلية سواء من الكتاب أو السنة نذكر منها على وجه الإشارة لا التفصيل ما يلي :

* استهلها بالآية الكريمة : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (1)

* ذكره لتوسل الصحابة بالنبي في الإستسقاء ثم بعمه العباس ثم يزيد بن الأسود .

* ذكره لقضية أمره لأمته بالصلاة عليه وطلب الوسيلة له التي هي منزلة من منازل الجنة خص بها الأنبياء حيث قال هنا : وهذا أصل ترجع إليه جميع التوسلات التي بمعنى طلب الدعاء (2)

* إيراده لقوله تعالى : (ولو أنهم إذظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفرلهم الرسول ...)

* وكذا قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وإبتغوا إليه الوسيلة ﴾ - يقول الشيخ هنا : فإن فيه حثا على إتخاذ الوسيلة إليه تعالى بالعمل مطلقا صادرا من المتوسل أو المتوسل به (إلى أن يقول ...) بل ظاهر الآية يشمل الوسيلة بالذات. (3)

* ذكره لمسألة أن أرواح الموتى بعد مفارقة أبدانها تبقى حية لأن الصحابة بإذن الرسول وأمره كانوا يخاطبون أهل القبور مخاطبة الأحياء وذكره للآحاديث في هذا الباب وتحليله للآيات الواردة في هذا الشأن (4)

* ذكره لرأي الآلوسي عند كلامه عن التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم وحرمته حيا وميتا الذي إختار القول بجوازه الذي هو رأي الجماعة (5)

* ذكره لمجموعة أحاديث كثيرة نسرد منها مثلا : - حديث الإستسقاء بالعباس (6)

- حديث الرجل الذي دخل على النبي يوم الجمعة وهو يخطب وطلب منه الدعاء لإنزال المطر والغيث.

- ذكره لرواية استسقاء معاوية بيزيد بن الأسود

- حديث النبي الذي كان قبل الإسلام: عند خروجه للإستسقاء وقصته مع النحلة التي وجدها رافعة قوائمها للسماء حيث قال : إرجعوا فقد استجيب لكم من أجل شأن النحلة

* حديث : وهل تنصرون إلا بضعفائكم

*قصة أصحاب الغار الثلاثة وتوسلهم المشهور

* حديث : (إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته ...)

---

1 - المائدة 2

2 - ص 4 من رسالته

3 - ص 6 من الرسالة

4 - أنظر ص 6-7-8-9

5 - ص 10 من الرسالة

6 - ص 11- 12 - 13 - 14- 15- 16- 17- 18-

Scanné avec CamScanner

* حديث الرجل الأرمد الذي يريد شفاء عينيه الذي قال له صلى الله عليه وسلم : قل اللهم بنبيك الطاهر الطيب إشفي بصري.

* حديث عثمان بن حنيف في الرجل الضرير الذي طلب الدعاء من النبي

* حديثه صلى الله عليه وسلم : لولا صبيان رضع وبهالم رتع ومشائخ ركع لصب عليكم العذاب صبا)

*ذكره لما ورد في قوله تعالى في حق موسى (وكان عند الله وجيها) أي لأنه كان ذا جاه ومنزلة ورفعة مستجاب الدعوة حيث يقول وإذا كان لهم هذا الإكرام عند الله تعالى فلامانع من التوسل بهم والتوجه إلى الله بذواتهم . (1)

* إيراده لقول العلامة الألوسي : حيث يقول : أنا لاأرى بأسا في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى حياوميتا (2)

* ذكره لتفسير الألوسي في قوله تعالى : ﴿ وكانوا من قبل سيتفتحون على الذين كفروا ﴾ البقرة 89 حيث يقول الشيخ مخلوف بعد ذلك : وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ (3)

* إيراده لمجموعةمواقف علماء الشرع في التوسل : أمثال :

* الشيخ المحقق العمدة الثبت (كما قال) المنصور البهوتى شارح المنتهى والإقناع قال في شرحه للإقناع : قال السامري وصاحب التلخيص : لابأس بالتوسل في الإستسقاء بالشيوخ والعلماء المتقين .

2 –الحافظ بن الجوزي : يجوز أن يستشفع إلى الله تعالى برجل صالح قيل يستحب وهو المعتمد.

3 – الإمام أحمد بن حنبل : في منسكه الذي كتبه للمروزي أنه يتوسل إلى الله تعالى بالنبي في دعائه .

4– الإمام إبراهيم الحربي: يقول الدعاء عند قبر معروف الكرخي الترياق المجرب .

5 – شمس الدين إبن مفلح : جوز ذلك في شرح منا سك المقنع ومثله في شرح الغاية ومثله في شرح مناسك الشيخ سليمان بن علي جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

6 – العلامة القوي الكرمي : في دليل الطالب يقول : ويباح التوسل مطلقا أو بغير النبي عليه السلام لأن فعل عمر ومعاوية حجة سيما وقد قال صلى الله عليه وسلم: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ولا يقال فيه دليل على إمتناع التوسل بالنبي عليه السلام بعد وفاته أو غيره ....

7 – الإمام السبكي : يقول ويحسن التوسل والإستغاثة والتشفع بالنبي إلى ربه ...

8 – الحافظ إبن حجر : نقل في الصواعق المحرقة أن الإمام الشافعي توسل بآل البيت حيث قال:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي *أرجوبهم أعطى غدا بيدي اليمين صحيفتي (4)*

---

1 -ص 19 من الرسالة

2 - ص 31 من رسالة الشيخ حسنين مخلوف.

3 - ص 35 من الكتاب

4 - ص 88 من الكتاب

Scanné avec CamScanner

*وأخيرا وبعد تعليقه على هاته المواقف بقوله المناقش لرأي إبن تيمية في التوسل (1) إذ يقول:

– فعلم مما تقدم أن فقهاء الأئمة الأربعة أجازوا التوسل والإستشفاع والإستغاثة بالأنبياء والصالحين مطلقا في كل ما يطلب من المولى تعالى حال حياتهم وبعد انتقالهم ومماتهم (2)

ب- الشيخ السيد أحمد بن زيني دحلان : توفي سنة 1304 ه 186 م في المدينة المنورة وهوالملقب بخادم طلبة العلم بالمسجد الحرام.

يقول:(وأما منع التوسل مطلقا فلا وجه له مع ثبوته في الأحاديث الصحيحة وصدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها فهؤلاء المنكرون للتوسل المانعون له منهم من يجعله محرما ومن يجعله كفرا وإشراكا وكل ذلك باطل لأنه يؤدي إلى إجتماع معظم الأمة على ضلالة ومن تتبع كلام الصحابة وعلماء الأمة وسلفها وخلفها يجد التوسل صادرا منهم بل ومن كل مؤمن في أوقات كثيرة وإجتماع أكثر الأمة على محرم أو كفر لا يجوز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (لاتجتمع أمتي على ضلالة) (3)

– ويقول الشيخ بن زيني دحلان في موضع آخر :فقد إتضح لك من هذه النصوص المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها أن التوسل به صلى الله عليه وسلم وزيارته وطلب الشفاعة منه ثابتة عنهم قطعا بلا شك ، ولا مرية أنها من أعظم القربات وأن التوسل به واقع قبل خلقه وبعد خلقه في حياته وبعد وفاته وسيكون التوسل به أيضا بعد البعث في عرصات القيامة (4)

– ويقول كذلك : (فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الأعظم وعمدوا إلى آيات كثيرة من آيات القرآن التي نزلت في المشركين فحملوها على المؤمنين الذين تقع منهم الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك إلى تكفير أكثر الأمة من العلماء والصلحاء والعباد والزهاد وعوام الخلق وقالوا أنهم مثل أولئك المشركين الذين قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقد علمت أن المشركين إعتقدوا ألوهية غير الله تعالى واستحقاقه العبادة وأما المؤمنون فلم يعتقد أحد منهم ألوهية غير الله وإستحقاقه العبادة فكيف يجعلونهم مثل أولئك المشركين ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم) (5)

دليله في ذلك : استدلال الشيخ أحمد بن زيني دحلان على جواز التوسل : من خلال كتابه الدرر السنية

---

1 - ص 93

2 - ص 93

3 - ص 15 من كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية لإبن زيني دحلان

4 - من كلام الشيخ بنزيني دحلان في كتابة الدرر السنية ص 25 (المطبعة الميمنية ط- 1921)

5 - ص 30 من كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية.

Scanné avec CamScanner

*من الكتاب: قوله تعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ : يقول الشيخ دحلان : وأن من جملة تلك الكلمات توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال: يارب أسألك بحرمة محمد إلا ما غفرت لي .(1)

* قوله عز من قائل: ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفرلهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾ . (2)يقول فيها : دلت الآية على حث الأمة على المجيء اليه صلى الله عليه وسلم والإستغفار عنده وهو لاينقطع بموته.

*إيراده الآيات القرآنية التي اتخذها بعض المنكرين أو حملوا هاته الآيات التي نزلت في المشركين على خواص المؤمنين وعوامهم وقالوا أنه من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين أوناداه أو سأله الشفاعة فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين ويكون داخلا في عموم هاته الآيات مثل قوله تعالى : ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ وقوله ﴿ ولاتدع مع الله آلها آخر فتكون من المعذبين ﴾ ... ورده لقولهم وضحضه له . (3) حيث قال: وهذا تلبيس في الدين توصلوا به إلى تضليل كثير من الموحدين .

- إيراده لقوله تعالى ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ .

- ذكره لقوله ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ (4) و﴿ يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾(5)

* من السنة :

استهل ابن زيني دحلان أول كتابه بالتحدث عن الزيارة لقبر النبي وقد عرض لمجموعة أحاديث منها :

*(من حج للبيت ولم يزرني فقد جفاني) رواه إبن عدي بسند يحتج به .

* (من زار قبري وجبت له شفاعتي) رواه الدار قطني

*(من زارني بعدموتي فكأنما زارني في حياتي)

*(من جاءني زائرا لاتهمه حاجة إلا زيارتي كان حقا علي أن أكون له شفيعا يوم القيامة ﴾.

---

1 - ص 10 من كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية لإبن زيني دحلان

2 - نفس الصفحة 10من نفالكتاب وفيص21 وص 3 كذلك

3 - ص 36 - 37 من الدرر السنية .

4 - ص 3 من الكتاب

5 - (ولا يشفعون إلا لمن إرتضى) قال إبن زيني دحلان : ذكر كثير من المفسرين في قوله تعالى (....)أن كل من مات مؤمنا كان ممن إرتضى فيدخل في شفاعته صلى الله عليه وسلم فثبت بهذا كله أن الشفاعة ثابتة و مأذون للنبي صلى الله عليه وسلم فيها لكل من مات مؤمنا .فالطالب للشفاعة كأنه يتوسل إلى الله تعالى بالنبي أن يحفظ عليه الإيمان إلى أن يتوفاه الله عليه فيدخل في شفاعة النبي .- ص 31 من الكتاب

Scanné avec CamScanner

» و يقول بعد سرد مجموعة أخرى من الأحاديث : فتلك الأحاديث كلها مع ماذكرناه صريحة في ندب بل لحبيب زيارته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا للذكر والأنثى وكـــذا زيـــارة بقيـــة الأنبيـــاء والصـــالحين والشهداء...(1)

– ثم انتقل للكلام عن التوسل وصحة صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وســلف الأمــة ووقف على أحاديث كثيرة منها :

* الحديث الذي جاء عن أبي سعد الخدري : أنه صلى الله عليه وسلم قال : من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ... أقبل الله عليه بوجهه وإستغفر له سبعون ألــف ملــك) ويقول الشيخ هنا : (فأنظر إلى قوله بحق السائلين عليك فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن) (2)

* ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم: إغفرلأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبيــاء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين).

* ايراده لحديث عثمان بن حنيف والرجل الضرير الذي طلب الدعاء من النبي ليعافيه .

*ذكره للقحط في زمن خلافة عمر وقصة مجيء بلال بن الحارث إلى قبر النبي وقوله: يارسول الله استســق لأمتك فإنهم هلكوا فأتاه رسول الله في المنام وأخبره أنهم يسقون)– ويقول هنا الشيخ :

فإتيانه لقبر النبي ونداؤه له وطلبه منه أن يستسقي لأمته دليل على أن ذلك جائز وهو من باب التوســل والتشفع والإستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من أعظم القربات وقد توسل به صلى الله عليه وســلم أبوه آدم عليه السلام (3).

– إيراده لحديث توسل آدم بالنبي قبل وجوده حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها والــذي رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي بإسناده صحيح في كتابه دلائل النبُوة (أنظر الحديث في مــادة التوســل في النصوص الشرعية).

* حديث حج الخليفة المنصور وسؤاله لمالك رضي الله عنه أيستقبل القبلة ويدعو أم يستقبل النبي صلى الله عليه وسلم (أنظر الحديث في أقوال العلماء من البحث : الإمام مالك).

* إيراده لقول عمر رضي الله عنه في عام الرمادة : يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كــان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا به في عمه العباس واتخذوه وسيلة إلى الله تعالى (4) حيث يقــول

1 - ص 5 من الدرر السنية

2 - ص 7

3 - ص 9 من كلام الشيخ دحلان.

4 - ص 01 من الدرر

Scanné avec CamScanner

الشيخ هنا : وبهذا يبطل قول من منع التوسل مطلقا سواء كان التوسل بالأحياء أو بالأموات (والحديث في صحيح البخاري . ذكرته أول البحث)

* حديث قحط أهل المدينة وشكواهم ذلك لعائشة التي قالت لهم : إنظروا إلى قبر رسـول الله صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوة إلى السماء حتى لايكون بينه وبين السماء سقف وكيف أنهم فعلـوا ذلـك فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم (1)

* إيراده لما روي عن علي أنه بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام جاءهم أعرابي فرمى بنفسه علـى القبر الشريف وحثى ترابه على رأسه وقال : يارسول قلت فسمعنا قولك ووعيت عن الله ما وعينا عنـك وكان فيما أنزل الله عليك قوله تعالى : ﴿ ولوأنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فأستغفروا الله وإسـتغفرهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾وقد ظلمت نفسي وجئتك مستغفرا إلى ربي فنودي من القبر الشريف أنه غفرلك .

* ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم : حياتي خير لكم تحدثون وأحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله تعالى ومارأيت من شر إستغفرت لكم (2)

* إشارته لحديث أصحاب الغار الثلاثة في التوسل بالأعمال الصالحة حيث يقـول : إذا جـاز التوسـل بالأعمال الصالحة فما المانع من جوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم باعتبار ما قام به من النبـوة والرسـالة والكمالات التي فاقت كل كمال وعظمت على كل عمل صالح . (3)

* قصة سواد بن قارب الذي أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدته التي فيها التوسل ولم ينكر عليه ومنها:

وأشهد أن الله لارب غيره ... وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا إبن الأكرمين الأطايب

وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

* إشارته للحديث الذي يجمع في الناس يوم القيامة حيث يستغيثون بآدم ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسـى وإتيانهم في الأخير لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي تقبل شفاعته .

* إتيانه لقصة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما قاتلوا مسيلمة الكذاب إذ كان شعارهم : وامحمداه وا محمداه (4

---

1 - ص 19 من كتابه

2 - ص 22 من الكتاب

3 - ص 27 من الدرر السنية

4 - ص 33 من كتاب ابن زيني دحلان

Scanné avec CamScanner

* إتيانه للحديث الذي رواه ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا إنفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله : احبسوا فإن لله عباداًيجيبونه" وفيه يقول الشيخ صاحب الكتاب : (ففيه نداء وطلب نفع أي التسبب في ذلك من عباد الله الذين لم يشاهدهم). (1)

* إشارته إلى أن رسول الله أمر صاحبيه عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما أن يقصدا أويسا القرني ويسألاه الدعاء والإستغفار .وهو ما جاء صحيحا عن مسلم (2)

*من أقوال العلماء والأئمة : أورد الكثير من ذلك كلها تشير إلى مشروعية التوسل بالنبي أو الولي حيا كان أوميتا :

* إيراده لقوله العلامة الحافظ إبن حجر في كتابه " الجوهر المنظم " قوله : لافرق في التوسل بين أن يكون بلفظ التوسل أو التشفع أو الإستغاثة أو التوجه لأن التوجه من الجاه وهو علو المنزلة وقد يتوسل بذي الجاه إلىمن هو أعلى منه جاها ، والإستغاثة معناها طلب الغوث والمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره وإن كان أعلى منه فالتوجه والإستغاثة به صلى الله عليه وسلم وبغيره ليس لهما معنى في قلوب المسلمين إلا طلب الغوث حقيقة من الله تعالى ومجازا بالتسبب العادي من غيره ولا يقصد أحد من المسلمين غير ذلك المعنى فمن لم ينشرح لذلك صدره فليبك على نفسه نسأل الله العافية (3)

* إتيانه بقول السيد السمهودي وهو : وسنتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشريف ويجتمعون هناك وليس القصد إلا التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والإستشفاع به إلى ربه لرفعة قدره عند الله (4)

* يقول السمهودي أيضا في خلاصة الوفاء: أن التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم وبجاهه وبركته من سنن المرسلين وسيرة السلف الصالحين (5)

* إيراده لما قاله العلامة المحقق الكمال محمد إبن الهمام (المتوفي سنة 0861/1456م) من أن استقبال القبر الشريف أفضل من إستقبال القبلة وأن ما نقل عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أن إستقبال القبلة أفضل هو نقل غير صحيح حيث أن الإمام أبو حنيفة روى في مسنده عن إبن عمر رضي الله عنهما أنه قال من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة (6)

---

1 - ص 33 من نفس الكتاب

2 - ص 38-39 من كتاب الدرر السنية

3 - ص 16 من كتاب الدرر السنية لإبن زيني دحلان

4 - ص 21 من كتابه الدرر السنية

5 - ص 21 من كتاب إبن زيني دحلان الدرر

6 - ص 23 من كتابه الدرر السني

Scanné avec CamScanner

* إشارته إلى ما قاله الإمام مالك للخليفة للمنصور : ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله بل استقبله واستشفع به"(1)

*إيراده لما قاله العلامة الزرقاني في شرح المواهب حيث يقول : كتب المالكية طافحة بإستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبرا للقبلة ثم نقل عن مذهب الإمام أبي حنيفة والشافعي و الجمهور مثل ذلك وأما مذهب الإمام أحمد ففيه إختلاف بين علماء مذهبه والراجح عند المحققين منهم إستحباب استقبال القبر الشريف كبقية المذاهب وكذا القول في التوسل فإن المرجح عند المحققين منهم إستحبابه لصحة الأحاديث الدالة على ذلك (2)

* إشارته إلى أن الإمام السبكي في شفاء السقام أطال في نقل النصوص أهل المذاهب الأربعة في ذلك أي استقبال القبر الشريف واستحباب التوسل ، مثل ذكره لرسالة طاهر سنبل التي رفعها لمفتي الحنابلة بمكة الشيخ محمد بن عبد الله بن حميد في هذه المسألة الذي أجاب : بأن الراجح عند الحنابلة إستقبال القبر الشريف وإستحباب التوسل ،: وأن ذلك مذكور في كثير من كتب المذهب المعتمدة منها شرح مناسك المقنع للإمام شمس الدين بن مفلح صاحب الفروع ، ومنها شرح الإقناع لمحرر المذهب الشيخ منصور البهوتي ومنها شرح مناسك المقنع للإمام شمس الدين بن مفلح صاحب الفروع ، ومنها شرح الإقناع لمحرر المذهب الشيخ منصور البهوتي ومنها شرح غاية المنتهى ، ومنها منسك الشيخ سليمان بن علي جد محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة ، وكثير من المؤلفين في المذهب ذكروا ذلك (3)

* إيراده لقول الحافظ إبن حجر في كتابه " الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان " الفصل 25 " أن الإمام الشا فعي كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه حيث يجيء إلى ضريحه ويزوره فيسلم عليه ثم يتوسل إلى الله به في قضاء حاجاته وأن الإمام أحمد توسل بالإمام الشافعي .(4)

* ذكره لموقف الإمام الشافعي عند ما بلغه أن أهل المغرب يتوسلون إلى الله تعالى بالإمام مالك حيث لم ينكر عليهم ذلك (5)

* إتيانه بقولة الإمام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه في أن من كانت له إلى الله حاجة وأراد قضاءها فليتوسل إلى الله تعالى بالإمام الغزالي وذكره لقول إبن حجر في كتابه " الصواعق المحرقة لإخوان الضلال والزندقة " – أن الإمام الشافعي توسل بأهل البيت النبوي حيث قال:

آل النبي ذريعتي ... وهم إليه وسيلتي

أرجو بهم أعطى غدا ... بيدي اليمين صحيفتي (6)

---

1 - أنظر القضة في مادة التوسل من خلال أقوال العلماء البحث وص 23 من الكتاب الدرر السنية .

2 -ص 23 من كتابه الدرر السنية

3 - ص 24 من الكتاب

4 - ص 27 من كتاب الدرر السنية

5 -نفس الكتاب ص 28

Scanné avec CamScanner

* إيراده لما جاء عن العلامة السيد طاهر بن محمد بن هاشم باعلوي في كتابه " مجمع الأحباب في ترجمة الإمام أبي عيسى الترمذي" من أنه رأى في المنام رب العزة فسأله عما يحفظ عليه الإيمان حتى يتوفاه عليه قال: فقال لي قل بعد صلاة ركعتي الفجر قبل صلاة فرض الصبح إلهي بحرمة الحسن وأخيه وجده وبنيه وامه وابيه نجي من الغم الذي أنا فيه ياحي ياقيوم ياذا الجلال والإكرام أسألك أن تحيي قلبي بنور معرفتك بالله يا الله يا أرحم الراحمين ، فكان الإمام الترمذي يقول ذلك دائما بعد صلاة سنة الصبح ويأمر اصحابه به ويحثهم على فعله وعلى المواضبة عليه :" ويقول الشيخ إبن زيني دحلان هنا : (فلو كان التوسل ممنوعا لما فعله هذا الإمام ولا أمر بفعله والمواظبة عليه وهو إمام حجة يقتدى به بل هذا الأمر – أعني التوسل – لم ينكره أحد قط من السلف والخلق حتى جاء هؤلاء المنكرون) (1)

* إيراده لتعليق العلامة إبن علان في شرح الأذكار " فيما جاء عن النووي(من أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يقول العبد بعد ركعتي الفجر ثلاثا : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد صلى الله عليه وسلم أجرني من النار) قال إبن علان في ذلك :خص هؤلاء بالذكر للتوسل بهم في قبول الدعاء وإلا فهو سبحانه وتعالى رب جميع المخلوقات فافهم ذلك أنه من التوسل المشروع (2)

* إشارته لموقف الشيخ سليمان بن عبد الوهاب وإنكاره لما كان يقوله أخوه محمد بن عبد الوهاب في مسجد الدرعية كل جمعة من أن المتوسل بالنبي كافر (3)

3 – *ابي الفضل للحدث الحافظ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري المغربي:*

– تطرق هذا العلامة إلى التوسل من وجهته الشرعية من خلال كتابه إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء " وقد استدل على جواز التوسل وصحته سواء كان بنبي أو ولي من خلال مجموعة من الأدلة الشرعية:

﴿– من الكتاب :﴾

1 – الدليل الأول : من سورة البقرة ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه أنه هو التواب الرحيم ﴾

– حيث يبتدأ تفسير هاته الآية من خلال ما رواه إبن المنذر في تفسيره عن محمد الباقر إبن علي زين العابدين إبن الحسين بن علي عليهم السلام قال: لما أصاب آدم الخطيئة عظم كربه وإشتد ندمه فجاءه جبريل عليه السلام فقال: " يا آدم هل أدلك على باب توبتك الذي يتوب الله عليك منه قال: بلى ، يا جبريل قال فقم في مقامك الذي تناجي فيه ربك فمجده وإمدح فليس شيء أحب إليه من المدح قال: فأقول ماذا يا جبريل ؟ قال: فقل لاإلاه إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمديحيي ويميت وهو حي

---

6 - نفس الكتاب ص 28

1 - نفس الكتاب ص 28

2 - ص 29

3 - ص 9 نفس المرجع

Scanné avec CamScanner

الموت بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير ثم تبوء بخطيئتك فتقول : سبحانك اللهم وبحمدك لاإله إلا أنت ربي إني ظلمت نفسي وعملت السوء فاغفرلي إنه لايغفر الذنوب إلا أنت اللهم إني أسـالك بجاه محمد عبدك وكرامته عليك أن تغفرلي خطيئتي قال: ففعل آدم عليه السلام فقال الله يا آدم من علمك هذا؟ فقال يارب إنك لما نفخت في الروح فقمت بشرا سويا أسمع وأبصر وأعقل وأنظر رأيـت علـى ساق عرشك مكتوبا بسم الله الرحمان الرحيم لاإلاه إلا الله وحده لاشريك له محمد رسول الله فلما لم أر على أثر إسمك إسم ملك مقرب ولا نبي مرسل غير إسمه علمت أنه أكرم خلقك عليك ، قال : صدقت وقد تبت عليك وغفرت لك "

- ويرى الحافظ بن الصديق أن المراد بقوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) هوماقاله الآلوسي في روح المعاني من أن معنى تلقي الكلمات هو إستقبالها بالأخذ والقبول والعمل بها . وهاته الكلمات هي كما يراهـاابن عباس:(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) الآية .ه أوهي كما يـرى إبن مسعود : (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك إسمك وتعالى جدك لاإله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفرلي فإنـه لايغفر الذنوب إلا أنت . ويرى الحافظ الغماري أنه هناك أقوال أخرى في تعيين الكلمات منها ما جـاء في البحر المحيط لإبن حيان لكن ليس بين الأقوال هاته تعارض لإمكان الجمع بينها بأن آدم عليه السلام تلقى الكلمات جميعا .

- وما يهمنا هنا إذن هي تلك الكلمات التي تلقاها آدم والتي لاتعدو أن تكون إلا أذكارا مشتملة علـى مدح الله وتمجيد له وتوسل إليه بأكرم الخلق عليه صلى الله عليه وسلم وإعتراف بالخطيئة وهاته الكلمات لقنها جل تناؤه لآدم عن طريق جبريل كما جاء في الأثر أعلاه . (1)

2 - الدليل الثاني: قوله تعالى : ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهـم وكـانوا مـن قبـل يستفتحون على الذين كفروا ﴾ (2) يقول صاحب الكتاب في هاته الآية بعدتفسيرها من خـلال تفسير الكشاف وتفسير الخازن وتفسير البغوي والنفسي ومن خلال روحي المعاني للآلوسي (3) (ووجه الدلالة من هذه الآية ظاهر فإن الله سبحانه أقر إستفتاح الي[1][2]هود بالرسول ولم ينكره عليهم وإنما ذمهم علـى الكفر والجحود بعد أن شاهدوا من بركة الإستفتاح بالنبي صلى الله عليه وسلم ملا ينكره إلا مـن كـان أعمى القلب والبصيرة مثلهم) (4)

3 - الدليل الثالث : قوله عز من قائل : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فإستغفروا الله وإستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما ﴾.

---

1 - اتحاف الأذكياء الدليل I

2 - البقرة 89

3 - (أنظر ذلك في باب المفهوم بلفظ آخر : (استفتاح) - (البحث).

4 - إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء الدليل II

Scanné avec CamScanner

ويقول الحافظ الغماري في معنى الآية قال الزمخشري في الكشاف : ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم إلى الطاغوت جاؤوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالإخلاص وبالغوا في الإعتذار إليك من إيذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم إلى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا: لعلموه توابا أي لتاب عليهم ولم يقل " إستغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الإلتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لإستغفاره وتنبيها على أن شفاعة من إسمه الرسول من الله بمكان .

- فهذه الآية يقول : وإن كانت نزلت بسبب المنافقين المتحاكمين إلى الطاغوت فهي عامة تشمل كل عاص ومقصر ثم أنها أعني الآية تدل على الإستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم في حالتي حياته ووفاته لأن كل من فعلى المجيء والإستغفار وقع في سياق الشرط والفعل في سياق الشرط يدل على العموم . والإستشفاع في حال الحياة ظاهر ليس فيه خلاف وأما في حال الوفاة فالوهابيون يمنعونه متوهمين أن الموت يحول دون تحققه وهو غلط ظاهر لأن الأنبياء أحياء في قبورهم يرزقون بدليل الكتاب والسنة والإجماع .

- وبعد عرضه لهاته الأدلة يقول الحافظ عبد الله بن محمد بن الصديق : والمقصود " أن الآية دليل على جواز التوسل والإستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم في سائر الأحوال لأنه في قبره الشريف حي يرزق تعرض عليه أعمال أمته فيدعوهم ويستغفر، ويلحق به في جواز التوسل كل من ثبتت له هذه المزية كالشهداء والعلماء العاملين والأولياء المتقين ونحوهم والله أعلم (1)

4- الدليل الرابع: قوله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ (2)

- وهاته الآية فسرها بما جاء عن البغوي في تفسيره من أن الذين يدعون.... الوسيلة يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم قال إبن عباس ومجاهد : وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم يبتغون أي يطلبون إلى ربهم الوسيلة أي القربة ......(3)

- من السنة :

5 - الدليل الخامس : وهو الحديث الذي رواه الطبراني وقال عنه الحاكم حديث صحيح، وقال صاحب الكتاب في كتاب آخر بعنوان الرد المحكم المتين أنه حديث حسن وهو الحديث المشهور عن آدم وخطيئته(4)

---

1 - ص 19 من كتاب أتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء للحافظ الغماري .

2 - الإسراء 57

3 - إنظر مادة التوسل منالقرآن الفل الأول من البحث

4 - الدليل الخامس : ماروراه الحاكم في المستدرك عن عمر بن الخطاب من حديث لما إقترف آدم عليه السلام الخطيئة " أنظر الحديث في الفصل الثاني .

Scanné avec CamScanner

6 - الدليل السادس :روى الطبراني في معجميه الكبير والأوسط عن أنس رضي الله عنه قال لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي رضي الله عنهما دخل عليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عند رأسها فقال: " رحمك الله يا أمي كنت بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني وتمنعين نفسك طيبا وتطعميني ، تريد بن بذلك وجه الله والدار الآخرة " ثم أمر أن تغسل ثلاثا ثلاثا فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور وضعه رسول الله بيده ثم خلع قميصه فالبسها إياه وكفنها ببرد فوقه ثم دعا أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر بن الخطاب وغلاما أسود يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وأخرج ترابه بيده فلما فرغ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع فيه وقال : الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت إغفرلأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين " وكبر عليها أربعا وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر رضي الله عنهما .

والحديث كما قال الحافظ نور الدين الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله الصحيح وقد وثقه إبن حبان والحاكم (1)

7 - الدليل السابع : حديث عثمان بن حنيف المشهور بحديث الضرير الذي طلب من النبي الدعاء للشفاء ويقول فيه صاحب المؤلف: وهذا إذن بالتوسل في سائر الأحوال ثم أن الروايات كلها متفقةعلى أن الذي دعا (2) هو الرجل الضرير لا النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا ترجم له البيهقي في دلائل النبوة.

الدليل الثامن : أخرج البزار عن إبن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شرإستغفرت الله لكم) (3)

- ويقول هنا الحافظ الغماري: وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن النبي عليه السلام يشفع لأمته بعد إنتقاله بإستغفاره لهم وعلى هذا يجوز التوسل به لأنه استشفاع وهو الشفيع المشفع المجاب عليه الصلاة والسلام ثم لايخفى أن عرض الأعمال الذي أثبته هذا الحديث ونحوه عرض إجمالي لايلزم منه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عارفا بأعمال الأمة وبإفرادهم على سبيل الإحصاء والتفصيل والإحاطة الشاملة لإن العلم على هذا الوجه من خصوصيات الباري سبحانه ... (4)

---

1 - ص 23 من كتاب الحافظ الغماري أتحاف الأذكياء .

2 - الحديث موجود في الفصل II مادة التوسل من السنة من البحث .

3 - هو عند الحافظ العراقي أسناده جيد، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد والمحدث القسطلاني في شرح البخاري رجال إسناده رجال الصحيح وكذلك قال الشبوطي (ض28 من الكتاب أتحاف الأذكياء)

4 - ما قاله الحافظ الغماري في دلالة الحديث في كتابه إتحاف الأذكياء ص 28

Scanné avec CamScanner

الدليل السابع : أخرجه إبن ماجة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : " اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولابطرا ولا رياء ولا سمعة ، وخرجت إتقاء سخطك وإبتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لايغفر الذنوب إلا أنت " أقبل الله عليه بوجهه وأستغفر له سبعون ألف ملك (1)

الدليل العاشر : أخرج الطبراني عن أمية بن عبد الله بن خالد إبن أسد قال : كان رسول الله يستفتح بصعاليك المسلمين وفي رواية : يستنصر بصعاليك المسلمين. (2)

الدليل الحادي عشر : أخرج أحمد في مسنده عن شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا : إلعنهم يا أمير المؤمنين قال : لاسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقى بهم الغيث ويستنصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

- وقال قتادة : لسنا نشك أن الحسن - يعني البصري - منهم (3)

الدليل الثاني عشر: روى الطبراني عن إبن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة ، يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أغيثوا عباد الله) وروى الطبراني عن عتبة بن غزوان عن ني الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا أضل أحدكم شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني " وفي لفظ أغيثوني فإن لله عبادا لا نراهم.

- ويقول الحافظ الغماري هنا : في هذين الحديثين دلالة على أمرين : الأول : جواز الإستعانة والإستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه خلافا للوهابية الذين يجعلون كل إستعانة أو إستغاثة شركا ، أما مالايدخل في قدرة المخلوق فلا يستعان فيه إلا الله ولايستغاث إلابه وهذا بإجماع المسلمين ....ولا شك أن أولياء الله وأصفيائه يقدرون على الشفاعة إلى الله بإذنه فالإستعانة على أساس هذا المعنى لاشيء فيها . الثاني : دليل الصوفية في قولهم برجال الغيب وأنهم موجودون لمن كفاهم من العلماء وتفصيل ذلك يطلب من مضانه(4)

الضرير لا النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا ترجم له البيهقي في دلائل النبوة .

1 -قال صاحب المؤلف صححه ابن خزيمة وحسنه الحافظ أبو الحسن المقدسي والحافظ العراقي والحافظ إبن حجز وله مع هذا طريقان ذكرتهما في الرد المحكم المتين .

2 - قال الحافظ المنذري رواته رواة الصحيح وهو مرسل ص 32 من الكتاب .

3 - ص 32 من المؤلف

4 - ما قاله الحافظالغماري في دلالة الحديثين ص 33.

Scanné avec CamScanner

الدليل الثامن : أخرج البزار عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حياتي خير لكم تحدثون ويحدث لكم ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله وما رأيت من شر إستغفرت الله لكم) (1).

– ويقول هنا الحافظ الغماري : وهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن النبي عليه السلام يشفع لأمته بعد إنتقاله بإستغفاره لهم وعلى هذا يجوز التوسل به لأنه إستشفاع وهو الشفيع المشفع المجاب عليه الصلاة والسلام . ثم لايخفى أن عرض الأعمال الذي أتيته هذا الحديث ونحوه عرض إجمالي لايلزم منه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عارفا أعمال الأمة وبإفرادهم على سبيل الإحصاء والتفصيل والإحاطة الشاملة فإن العلم على هذا الوجه من خصوصيات الباري سبحانه .... (2)

الدليل التاسع: أخرجه إبن ماجة عن أبي سعد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولارياء ولاسمعة ، وخرجت إتقاء سخطك وإبتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لايغفر الذنوب إلا أنت) أقبل الله عليه بوجههوإستغفر له سبعون ألف ملك (3)

الدليل العاشر: أخرج الطبراني عن أمية بن عبد الله بن خالد إبن أسيد قال : كان رسول الله يستفتح بصعاليك المسلمين وفي رواية : يستنصر بصعاليك المسلمين(4)

الدليل الحادي عشر: أخرج أحمد في سنده عن شريح بن عبيد قال: ذكرأهل الشام عندعلي بن أبي طالب وهو بالعراق، فقالوا : إلعنهم يا أمير المؤمنين قال: لاسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الأبدال بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا يسقي بهم الغيث وينتصربهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

– وقال قتادة : لسنانشك أن الحسن يعني البصري منهم . (5)

الدليل الثاني عشر : روى الطبراني عن إبن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة ، يكتبون ما يسقط من ورق الشجر فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة فليناد أعينوا عباد الله) وروى الطبراني عن عتبة غزوان عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا أصل أحدكم

---

1 - هو الحافظ العراقي إسناده جيد ، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، والمحدث القسطلاني في شرح البخاري رجال إسناده رجال الصحيح وكذلك قال السيوطي (ص 28 من الكتاب أتحاف الأذكياء)

2 - ما قاله الحافظ الغماري في دلالة الحديث في كتابه إتحاف الأذكياء ص 28.

3 - قال صاحب المؤلف : صححه إبن خزيمة وحسنه الحافظ أبو الحسن المقدسي والحافظ العراقي والحافظ ابن حجر وله مع هذا طريقان ذكرتهما في الرد المحكم المتين .

4 - قال الحافظ المنذري رواته رواة الصحيح وهو مرسل ص 32 من الكتاب .

5 - ص 32من المؤلف .

Scanné avec CamScanner

شيئا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل يا عباد الله أعينوني " وفي لفظ أغيثوني فإن لله عبادا لانراهم .

- ويقول الحافظ الغماري هنا : في هذين الحديثين دلالة على أمرين : الأول : جواز الإستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه خلافا للوهابية الذين يجعلون كل إستعانة أو إستغاثة شركا أما لايدخل في قدرة المخلوق فلا يستعان فيه إلا الله ولايستغاث إلا به ، وهذا بإجماع المسلمين ...... ولاشك أن أولياء الله وأصفيائه يقدرون على الشفاعة إلى الله بإذنه فالإستغاثة بهم أو الإستعانة على أساس هذا المعنى لاشيء فيها الثاني : دليل الصوفية في قولهم برجال الغيب وأنهم موجودون لمن كفاهم من العلماء وتفصيل ذلك يطلب من مضانه (1)

الدليل الثالث عشر : روى أبو يعلى من طريقين عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليأتين على الناس زمان يخرج الجيش من جيوشهم فيقال : هل فيكم من صحب محمدا صلى الله عليه وسلم فيستنصرون به فينصرون ثم يقال : هل فيكم من صحب محمدا صلى الله عليه وسلم فقال: لا فيقال : فمن صحب أصحابه ؟ فلو سمعوا به من وراء البحر لأتوه).

- ويقول فيه : ففي هذا الحديث دليل على التوسل بالصحابة والإستنصار بهم والله سبحانه وتعالى أعلم (2)

> إن مما ليس فيه خلاف بين طوائف المسلمين إجماعا ثلاثة أنواع من التوسل وهي :

1 - التوسل بالحي الصالح إلى الله تعالى كما في حديث الضرير مع النبي .

2 - توسل الحي بالعمل الصالح إلى الله تعالى (حديث الغار).

3 - التوسل إلى الله بذاته تعالى ، وبأسمائه وصفاته ونحوها

لكن محل الخلاف في مسألة التوسل هو التوسل بغير ما أسلفنا ذكره كالتوسل بالذوات والأشخاص وخصوصا التوسل بالميت الصالح سواء كان نبي أو ولي .

وهو ما يظهر لنا من خلال هذا الفصل إن شاء الله .

﴿ الفصل الثاني﴾ : - أهل النفي (أو الإنكار) .

- ذهب تقي الدين بن تيمية وبعض الحنابلة من المتاخرين إلى أن التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم لايجوز ، حيث يرى إبن تيمية أن لفظ التوسل قد يراد به ثلاثة أمور أمران متفق عليهما بين المسلمين أحدهما : هو أصل الإيمان والإسلام وهو التوسل بالإيمان به صلى الله عليه وسلم وبطاعته ، والثاني : دعاؤه وشفاعته (أي في حال حياته) وهذا أيضا نافع يتوسل به من دعاله وشفع فيه بإتفاق المسلمين ومن

---

1 - ما قاله الحافظ الغماري في دلالة الحديثين ص 33 .

2 - ص 34 من المؤلف.

Scanné avec CamScanner

انكر التوسل به بأحد هذين المعنيين فهو كافر مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل مرتدا .... والمعنى الثالث : التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الإستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لاعند قبره ولا غير قبره (1)

– فكان إبن تيمية من أوائل المنكرين لهذا النوع من التوسل وعليه نستهل به كأحد الأوائل المنكرين للتوسل بالذوات والأشخاص أحياء كانوا أو أموات .

– إبن تيمية : هوشيخ الإسلام الإمام المجتهد تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم إبن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الحنبلي ولد بحران يوم الإثنين 10 ربيع الأول سنة661وقدم به والده عند إسيلاء التتار على البلاد إلى دمشق فتلقى على مشايخها وأقبل على العلوم في صغره فأخذ الأصول والفقه عن والده وبرع في ذلك وناظر ونبغ في العربية وبرز في تفسير القرآن والعلوم الدينية والنظرية وتأهل للفتوى والتدريس وأمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك ابتلى في آخر عهده واعتقل في قلعة دمشق ... ثم مرض بضعة وعشرين يوما ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ولم يفاجأهم إلا موته في ليلة الإثنين 20ذي القعدة سنة 0728 (2)

– قال عنه تلميذه إبن القيم : سمعت إبن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول في الحبس : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .

* قولته وموقفه : يتبين لنا موقفه من خلال جوابه عن السؤال الذي طرح عليه بأن يبين ما يجوز ما لا يجوز من الإستشفاع والتوسل بالأنبياء والصالحين حيث يقول : أما التوسل بالإيمان به وصحبته وطاعته والصلاة والسلام عيله ، وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه فهو مشروع بإتفاق المسلمين . (3) ويقول في موضع آخر : .... الإقسام على الله سبحانه بغيره لايجوز ولايجوز أن يقسم بمخلوق أصلا وأما التوسل إليه بشفاعة المأذون لهم في الشفاعة فجائز (4).

– ويقول إبن تيمية ي موضع آخر: فلفظ التوسل يراد به ثلاث معان : أحدها التوسل بطاعته ، فهذا فرض لايتم الإيمان إلا به والثاني : التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته والثالث : التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال فهذا الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الإستسقاء ونحوه ، لا في حياته ولا بعد مماته لاعند قبره ولا غير قبره ولايعرف هذا في شيء من

---

1 – ص 13 وص 50 من كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة فبن تيمية (المكتبة العلمية بيروت)

2 – مقتبسة من شذرات الذهب ج 6 – أبن العماد الحنبلي ص 313.

3 – ج 1 ص 140 من الفتاوي الكبرى لابن تيمية

4 – ص 155 من قاعدة جليلة .

Scanné avec CamScanner

الأدعية المشهورة بينهم وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة .... (1)

–ويقول كذلك : ومن أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب كما ذكره السائل ويستغيث به عند المصائب يقول : ياسيدي فلان كأنه يطلب منه إزالة ضره أوجلب نفعه، وهذا حال النصارى في المسيح وأمه وأحبارهم ورهبانهم ، ومعلوم أن خير الخلق وأكرمهم على الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأعلم الناس بقدره وحقه أصحابه ، ولم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك في مغيبه ولا بعد مماته .(2)

– ويقول أيضا : وأما القسم الثالث: وهو أن يقول : اللهم بجاه فلان عندك أو ببركة فلان أو بحرمة فلان عندك ا/فعل بي كذا وكذا فهذا يفعله كثير من الناس لكن لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين وسلف الأمة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدعاء ، ولم يبلغني عن أحد من العلماء في ذلك ما أحكيه إلا ما رأيت في فتاوي الفقيه أبي محمد بن عبد السلام – العز بن عبد السلام – فإنه أفتى : أنه لايجوز لأحد أن يفعل ذلك إلا للنبي صلى الله عليه وسلم إن صح الحديث في النبي.....(3)

– ويقول : والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك : وقيل هو مكروه كراهة تنزيه والأول أصح ....فالإقسام به على الله والسؤال به بمعنى الإقسام هو من هذا الجنس (4)

3 – دليله : (من خلال كتابه قاعدة جليلة – ومجموع فتاويه)

– إن إبن تيمية يرى أن مخاطبة الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم وخطاب تماثيلهم ، هو أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين من غير أهل الكتاب وفي مبتدعة أهل الكتاب والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات مالم يأذن به الله تعالى ، ويأتي لذلك بقوله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ (5) فإن دعاء الملائكة والأنبياء بعد موتهم و في مغيبهم وسؤالهم والإستغاثة بهم والإستشفاع بهم في هذه الحال هو من الدين الذي لم يشرعه الله ولا بعث به رسولا ولا أنزل به كتابا ، وليس هو واجبا ولامستحبا بإتفاق المسلمين ولا فعله أحد من الصحابة

---

1 - ص 50 من قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة

2 - مجموع فتاوي إبن تيمية المجلد 27 كتاب الفقه الجزء 6 ص 81

3 - جملة إعتراضية لم ينقلها الشيخ إبن تيمية قال العزبن عبد السلام في المجموع 274/8: ينبغي كون هذا مقصورا على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه سيد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء والملائكة والأولياء لأنهم ليسوا في درجته وأن يكون مما خص به تنبيها على علو رتبته .

4 - من مجموع فتاوى إبن تيمية المجلد 27 – كتاب الفقه الجزء 6ص81.

5 - حزب 42/ آية 21

والتابعين لهم بإحسان ولا أمر به إمام من أئمة المسلمين وإن كان ذلك مما يفعله كثير من الناس ممن له عبادة وزهد ويذكرون فيه حكايات ومنامات ، فهذا كله من الشيطان (1)

- إستدل على عدم جواز التوسل به بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته بإيراده لما جاء عن أبو حنيفة وأصحابه من انه لايجوز حيث قالوا: لايسأل بمخلوق ، ولا يقول أحد : أسألك بحق أنبيائك ومنهم:

- أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة الذي قال : وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة .

- قال بشربن الوليد حدثنا أبو يوسف قال أبو حنيفة : لاينبغي لأحد أن يدعو الله إلابه ، وأكره أن يقول "بمعاقد العز من عرشك" "او بحق خلقك ".

- قال القدوري : المسألة بخلقه لاتجوز لأنه لاحق للخلق على الخالق فلا يجوز وفاقا . (2)

- يرى الشيخ بن تيمية أن إقسام المخلوق بالمخلوقات شرك وهذا بخلاف إقسامه سبحانه بمخلوقاته ﴿ كالليل إذا يغشى﴾....﴿ والصافات صفا ﴾.... لأن إقسامه عز وجل يتضمن لذكر آياته الدالة على قدرته حكمته ووحدانية . وسيدل على ذلك بما ورد في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

- " من حلف بغير الله فقد أشرك " (صححه الترمذي وغيره).

-" من كانا حالفا فليحلف بالله " " لاتحلفوا بآبائكم فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم " الصحيحين .

- " من حلف باللات والعزى فليقل لاإلاه إلا الله " في الصحيحين .(3)

- يرى إبن تيمية دعاء عمر إبن الخطاب في الإستقساء (.....) يدل على أن التوسل المشروع عندهم (أي المهاجرين والأنصار) هو التوسل بدعائه وشفاعته لاالسؤال بذاته إذ لو كان هذا مشروعا لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس .(4) تكذيبه لمن قال أن بعض الأئمة أمثال مالك جوز سؤال الرسول أو غيره حيث يقول: وكذلك من نقل عن مالك أنه جوز سؤال الرسول أوغيره بعد موتهم أو نقل ذلك عن إمام من أئمة المسلمين غير مالك – كالشافعي وأحمد وغيرهما فقد كذب عليهم ولكن، بعض الجهال ينقل هذا عن مالك ويستند إلى حكاية مكذوبة عن مالك ، ولوكانت صحيحة لم يكن التوسل الذي فيها هو هذا بل هو التوسل بشفاعته يوم القيامة ، ولكن من الناس من يحرف نقلها وأصلها ضعيف ....(5)

---

1 - ص 18 من قاعدة جليلة

2 - ص 50و16 من كتاب قاعدة جليلة

3 - ص 51 من الكتاب نفسه

4 - ص 66 المرجع السابق .

5 - ص 68 نفس المرجع

Scanné avec CamScanner

طعنه فيما أثر عن مالك من الرواية المشهورة عنه هو وأمير المؤمنين أبو جعفر الذي سأله : أيستقبل القبلة ويدعو أم يستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول وهذه الحكاية منقطعة فإن محمد بن حميد الرازي لم يدرك مالكا لاسيما في زمن أبي جعفر المنصور فإن أبا جعفر توفي بمكة سنة 158 وتوفي مالك سنة 179 وتوفي محمد بن حميد الرازي سنة 248 ولم يخرج من بلده حين رحل في طلب العلم إلا وهو كبير مع أبيه وهو مع هذا ضعيف عند أكثر أهل الحديث كذبه أبوزعة وابن وارة .... وقال النسائي ليس بثقة ....وهذه الحكاية لم يذكرها أحد من أصحاب مالك المعروفين بالأخذ عنه ومحمد بن حميد ضعيف عند أهل الحديث إذا أسند (1)

- طعنه في حديث (من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي) بقوله : فإن هذا كذب ظاهر مخالف لدين المسلمين (2)

- نفيه وجود أحاديث تدل على مشروعية الإقسام والسؤال به صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته بقوله : ولكن بعض الناس ظن أن توسل الصحابة به كان بمعنى أنهم يقسمون به ويسألون به فظن هذا مشروعا مطلقا لكل أحد في حياته ومماته وظنوا أن هذا مشروع في حق الأنبياء والملائكة بل وفي الصالحين وفي من يظن فيهم الصلاح وإن لم يكن صالحا في نفس الأمر ، وليس في الأحاديث المرفوعة في ذلك حديث في شيء من دواوين المسلمين التي يعتمد عليها في الأحاديث -...- وإنما يوجد في الكتب التي عرف أن فيها كثير من الأحاديث الموضوعة المكذوبة التي يختلقها الكذابون (3)

تجريحه لبعض من يذكر أحاديث في مسألة التوسل بالجاه والذات مثل موسى بن عبد الرحمان الصنعاني صاحب التفسير عندما ذكر حديث عن إبن عباس فيما سره أن يوعيه الله حفظ القرآن وأصناف العلم أن يدعوني أدبار صلواته : (اللهم إني أسألك بأنك مسؤول لم يسأل مثلك ولايسأل وأسألك بحق محمد نبيك وإبراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى روحك ....) حيث يقول : وموسى بن عبد الرحمان هذا من الكذابين .(4)

- تضعيفه وتكذيبه لمجموعة من الرواة أمثال: إسماعيل إبن أبان (5) ، عطية العوفي ....

- يرى أن حديث الأعمى المروي عن الترميذي والنسائي هو من القسم الثاني من التوسل بدعائه .(6)

---

1 - ص 68 نفس المرجع

2 - ص 70 من كتاب قاعدة جليلة

3 - ص 85 نفس الكتاب .

4 - ص 94 من قاعدة جليلة

5 - ص 96و156من قاعدة جليلة

6 - ص 93 من قاعدة جليلة

Scanné avec CamScanner

-على خلاف الذين رأوا أنه من المشروع المستحب أن يتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته من غير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم داعيا له ولا شافعا فيه فإنه من المعلوم كما يرى إبن تيمية أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعا بعدموته ، ودليله أنهم يستسقون به في حياته توسلا به فلما مات لم يتوسلوا به بل إنصرفوا للإستسقاء بعمه العباس .

- تضعيفه لبعض الأحاديث مثل (1) من قال إذا خرج للصلاة : " اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا فإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ..." بقوله : وهو ضعيف أيضا ولفظه لاحجة (2).

- يرى أن قوله تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ومالهم فيها من شرك وماله منهم من ظهير ولاينفع الشفاعة عنده إلا لمن اذن له﴾ (حزب 34 آية 22 و23 هو بمثاب تهديد لمن طلب شيئا من دون الله وبين أنهم لاملك لهم مع الله ولاشركاء في ملكه ... فقطع تعلق القلوب بالمخلوقات رغبة ورهبة وعبادة وإستعانة ولم يبق إلا الشفاعة وهي حق (3)

- إيراده لتفسير غير تفسير أهل الإثبات لآية الإستفتاح ﴿ وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ....﴾ حيث يقول : فكانت اليهود تقول للمشركين : سوف يبعث هذا النبي ونقاتلكم معه فنقتلكم ، لم يكونوا يقسمون على الله بذاته ولا يسألون به ، بل يقولون : اللهم إبعث هذا النبي الأمي لنتبعه ونقتل هؤلاء معه ، هذا هو النقل الثابت عند أهل التفسير وعليه يدل القرآن . (4)

- تجريحه لراوي حديث يهود خيبر التي كانت تقاتل غطفان وتهزم حتى عاذت بهذا : ﴿ اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم ، فكانوا إذا دعوا بهذا الدعاء هزموا غطفان وراويه هو عبد الملك بن هارون بن عنترة ويرى إبن تيمية أنه من أضعف الناس وهو عند أهل العلم بالرجال متروك ، بل كذاب .... (5)

- يخالف إبن تيمية أهل الإثبات حين يأتي بتفسير الآية الكريمة ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ....﴾ حيث يقول : (قالت طائفة من السلف : كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالمسيح وعزيز وغيرهما ، فنهى الله عن ذلك وأخبر تعالى أن هؤلاء يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ويتقربون إليه وأنهم لايملكون كشف الضرعن الداعين ولاتحويله عنهم (6)

- إيراده لمجموعة أحاديث ناهية عن إتخاذ القبور مساجد مثل :

---

1 - ص 113 نفس المرجع
2 - ص 116 نفس المرجع
3 - ص 121 نفس المرجع
4 - ص 122 نفس المرجع
5 - ص 125 نفس المرجع
6 - ص 128 من نفس المرجع

Scanné avec CamScanner

- لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) في الصحيحان .

- اللهم لاتجعل قبري وثنا يعبد - إشتد غضب الله على قوم إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) الموطأ .

- يورد آيات وأحاديث ويستدل بها في انه لايجوز أن يجعل لله ندا لافي محبته ولاخشيته ولادعائه ولا (1) الإستعانة به مثل : قوله تعالى : ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ و﴿ لاتتخذوا إلهين إثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ ، و﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله﴾

- وفي الحديث الصحيح : ﴿ من مات وهو يدعو ندا من دون الله دخل النار ﴾ ... (2)

- تكذيبه للحديث القائل : إذ سألتم الله فاسألوا بجاهي ، فإن جاهي عند الله عظيم بقوله : وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ...(3)

- إيراده أن الصحابة لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة حين يقول :فلهذا لم يكونوا يتوسلون بذاته مجردة عن هذا وهذا ، فلما لم يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئا من ذلك ولادعوا بمثل هذه الأدعية وهم أعلم منا وأعلم بيما يحب الله ورسوله وأعلم بما أمر الله به ورسوله من الأدعية ، وما هو أقرب من الإجابة منا بل توسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي صلى الله عليه وسلم .(4)

- إيراده لبعض ما قيل في الإستغاثة :

• أبو يزيد البسطامي : قال : إستغاثة المخلوق بالمخلوق كإستغاثة الغريق بالغريق .

• أبو عبد الله القرشي : قال: إستغاثة المخلوق بالمخلوق كإستغاثة المسجون بالمسجون .

- يرى إبن تيمية أن النبي صلى الله عليه وسلم خاف الفتنة والإشراك بعد موته كما أشرك بالمسيح والعزير وعليه قال : (لاتطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله) (5)

- يرى أن الوسيلة في قوله تعالى ﴿ وإبتغوا إليه الوسيلة ﴾ ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ هي الأعمال الصالحة (6)

- إتيانه بفتوى الفقيه أبي محمد بن عبد السلام : الذي قال: لايجوز أن يتوسل إلى الله بأحد من خلقه إلا برسول الله صلى الله عليه وسلم إن صح حديث الأعمى وتعليقه عليه حيث يقول : وقد تقدم أن هذا

---

1 - نفس الصفحة 128

2 - ص 129

3 - ص 141 من قاعدة جليلة وص 161

4 - ص 143 نفسه

5 - ص 143 من قاعدة جليلة

6 - ص 154 من نفس المرجع

Scanné avec CamScanner

الحديث لايدل إلا على التوسل بدعائه ليس من باب الإقسام بالمخلوق على الله تعالى ولا من باب السؤال بذات الرسول بذات الرسول كما تقدم .(1)

- إيراده لأحاديث تنهى عن الجلوس على القبور وقصد شيء منها ولا الصلاة عندها مثل قوله صلى الله عليه وسلم : " لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها " حيث يستفيد من أن النهي عن الصلاة مستقبلا لها هو نهي عن سؤال الميت شيئا أو الشكوى إليه لأن ذلك يفضي للشرك (2)

- إشارته لما ورد في التوراة من أن موسى نهى بني إسرائيل عن دعاء الأموات وأن دين الأنبياء عليهم السلام واحد وإن تنوعت شرائعهم ، كأنه يريد بذلك أن شرع من قبلنا شرع لنا مالم يرد ما ينسخه . (3)

- يرى أن من المستغيثين بالأموات من الأنبياء والصالحين والشيوخ من يأتي إلى القبر الذي يشرك به ويستغيث به فينزل عليه من الهواء طعام أو نفقة أو سلاح .... مما يطلبه فيظن ذلك كرامة لشيخه، وإنما ذلك كله من الشياطين . (4)

II - الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز : مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء ، توفي سنة 14 ماي 1999 م عن سنة 90 عاما من مؤلفاته: تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام .

- موقفه من خلال مقولاته :

- يقول: فالتوسل المشروع هو الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب وخلق من أجله الثقلين وهو : عبادته سبحانه، ومحبته ومحبة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ومحبة جميع الرسل والمؤمنين ، والإيمان به وبكل ما أخبر الله به رسوله من البعث والنشور والجنة والنار ... فهذا كله من الوسيلة الشرعية ... ومن ذلك دعاؤه . سبحانه ... والتوسل إليه بأسمائه وصفاته ومحبته والإيمان به جميع الأعمال الصالحة التي شرعها لعباده ....(5)

- يقول : وأما التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم أوبذاته أو بحقه ، أو بجاه غيره من الأنبياء والصالحين أو ذواتهم أو حقهم فمن البدع التي لا أصل لها ، بل من وسائل الشرك . (6)

- ويقول : وأما التوسل بجاه فلان أو بحق فلان أوذاته فهذا من البدع المنكرة ومن وسائل الشرك وأما دعاء الميت والإستغاثة به فذلك من الشرك الأكبر (7)

---

1 - ص 162من نفس المرجع

2 - ص 167 من قاعدة جليلة وص ص 161

3 - ص 169 من قاعدة جليلة

4 - ص 172 من قاعدة جليلة

5 - ص 19 من كتاب تحفة الإخوان لصاحبه بن باز - ط 2 الذي جمعه وطبعه محمد بن شايع بن عبد العزيز الشايع .1995

6 - ص 20 من نفس المرجع .

7 - ص 21 من تحفة الإخوان .

Scanné avec CamScanner

- ويقول في موضع آخر من المؤلف : أما مايقع عند القبور من أنواع الشرك والبدع ... فمن ذلك دعاء أصحاب القبور والإستغاثة بهم وطلب شفاء المرض والنصر على الأعداء ونحو ذلك ، وهذا كلـــه مـــن الشرك الأكبر الذي كان عليه أهل الجاهلية (1)

- ويقول : حتى عبدوا أصحاب القبور وذبحوا لهم ، وإستغاثوا بهم ونذروا لهم وطلبوا منهم شفاء المرضى والنصر على الأعداء كما يعلم ذلك من عرف ما يفعل عند قبر الحسين والبدوي، والشيخ عبـــد القـــادر الجيلاني وابن عربي وغيرهم من أنواع الشرك الأكبر . (2)

- دليله : من خلاله كتاب تحفة الإخوان بأجوبة تتعلق بأركان الإسلام : (باب العقيدة) :

- يستدل الشيخ بن باز على ما هو من التوسل الغير المشروع مثل: بجاهه صلى الله عليه وسلم أو بذاته أو حقه أو غيره من الأنبياء أو الأولياء أحياء أو أمواتا بما يلي :

* يرى أن الصحابة هم أعلم الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم وبحقه لم يفعلوا هذا النوع من التوسل " ولوكان خيرا (كما قال) لسبقونا إليه حيث أنهم لما أجدبوا في عهد عمر رضي الله عنه لم يذهبوا إلى قبره صلى الله عليه وسلم ولم يتوسلوا به ولم يدعو عنده بل إستسقى عمر رضي الله عنه بعمه العباس بن عبـــد المطلب أي بدعائه . (3)

* يرى أن الصحابة لما توفي صلى الله عليه وسلم لم يسألوه شيئا بعد ذلك ولم يأتوا إلى قبره يسألونه الشفاعة أو غيرها كما قال لأنهم يعلمون أن ذلك لايجوز بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وإنما يجوز ذلك في حياته ، قبل موته ، ويوم القيامة. (4)

* يرى أن هذا النوع من التوسل بالجاه والذات هو مخالف للأدلة الشرعية مثل قوله تعالى : ﴿ ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾ (5) حتى لم يأمر بدعائه – سبحانه – بجاه أحد أو حق أوبركة أحد .

+ يرى أن العلماء يرون نفس الشيء الذي صرح به الشيخ بن باز أمثال:

* إبن تيمية – إبن قيم الجوزية – الشيخ العلامة عبد الرحمان بن حسن في فتح المجيد شرح كتاب التوحيد وغيرهم (6)

---

1 - ص 11 من تحفة الإخوان

2 - ص 15 من نفس المرجع

3 - ص 20 من تحفة الإخوان

4 - ص 21 من تحفة الإخوان

5 - الأعراف 180

6 - ص 36 من نفس الكتاب

Scanné avec CamScanner

قال الشيخ الوهابي حين سأل عن ذلك : الفرق ظاهر جدا و ليس الكلام مما نحن فيه فكون البعض يرخص بالتوسل بالصالحين ، وبعضهم يخصه بالنبي صلى الله عليه وسلم وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه فهذه المسألة من مسائل الفقه وإن كان الصواب عندنا قول الجمهور من أنه مكروه فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الإجتهاد ولكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات فأين هذا ممن يدعو الله مخلصا له الدين لا يدعو مع الله أحدا ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قبرا معروفا أو غيره يدعو عنده لكن لايدعو إلا الله مخلصا له الدين فأين هذا مما نحن فيه ؟ (1)

الفصل الثالث : إستنتاج وترجيح:

- من خلال ما تبين نستنتج من هاته المواقف المتضاربة أن محل الخلاف بين العلماء حاصل في مسألة التوسل بالذوات والأشخاص مثل التوسل بحق أو جاه أو ذات الأنبياء والأولياء في الحياة والممات . وهي مسألة كثر فيه الكلام وطال النزاع بين العلماء وعلى رأسهم الإمام السبكي والشيخ إبن تيمية ولكل منها وأنصاره وأدلته المؤيدة لرأيه .

- لكن الذي يجب أن يعتقده الجميع هو أن الأنبياء او الأولياء لافعل لهم ولاقدرة لهم ولاتصرف لا الآن ولا حين كانوا أحياء في دار الدنيا حيث أنه لاتاثير ولا خلق ولا إيجاد ولا إعدام ولا نفع ولاضر إلا الله وحده لاشريك له إذ لافرق في التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم أو الولي حيا أو ميتا لأنهم لافرق بينهم أحياء أو أمواتا لأنهم لايخلقون شيئا وليس لهم تأثير في شيء وإنما يتوسل ويستغاث ويستشفع ويتبرك بهم لكونهم أحباء الله تعالى يحبهم ويحبونه ، فالقريب من الزلل على هذا هو الذي يجوز التوسل بالأحياء لا الأموات لأنه اعتبر أن الحي له تأثيردون الميت مع العلم أنه لاتاثير ولا إيجاد لغير الله فالتوسل والتشفع والإستغاثة هي في معنى واحد وليس لها في قلوب المؤمنين معنى إلا التبرك بذكر أحباء الله لما ثبت أن الله يرحم العباد بسببهم : ﴿ ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾ فمن قال اللهم إني أتوسل إليك بالنبي كمن قال اللهم إني أتوسل إليك بمحبتي لنبيك .

- والذي يظهر للجميع رغم شدود بعد المواقف أن مذهب أهل السنة والجماعة يرى صحة وجواز التوسل بالنبي والولي في حياته وبعد وفاته ، قبل البعثة وفي عرصات القيامة ولرفع اللبس والأشكال فالتوسل إذن إلى الله بأهل الفضل والعلم عموما هو في الحقيقة توسل باعمالهم الصالحة ومزاياهم الفاضلة إذ لا يكون فاضلا إلا بأعماله وأخلاقه بالإضافة إلى قدره ونسبه ومنزلته ، فإذا قال القائل : اللهم إني أتوسل إليك بالنبي أو بالولي أو بالعالم الفلاني فهو توسل باعتبار ما قام به توسل بأعماله وتوسّل بأحواله الخلقية والخلقية .

وحتى ما قيل في شأن البعض من المنكرين للتوسل بمعناه الغير المتفق عليه من أنهم ينكرون أو يكفرون من قام به فقد يكون إفتراء كما حدث للشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي قيل أنه يكفر المتوسل بالصالحين

---

1 - من فتاوي محمد بن عبد الوهاب في مجموعة المؤلفات : القسم 3 ص 68 (نشرتها جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب (كتاب مفاهيم يجب أن تصحح : 137-138.

ولعله كذّب ذلك حين قال ...إذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها منها ماهو من البهتان الظاهر وهو قولهم : إني أكفر من توسل بالصالحين وأني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق وأني أحرق دلائل الخـيرات ... وجوابي في هذه المسائل : أني أقول سبحانك هذا بهتان عظيم (1)

وعلى العموم وكما يرى السيد يوسف النبهاني ناقلا عن كلام السيد أحمد دحلان مفتي الشافعية في مكة المكرمة فلو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل إشراكا أو كفرا ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وخلفها فإن جميعهم كانوا يتوسلون فقدكان من دعائه كما أسلفنا ذكـره : اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك" وهذا توسل صريح لاشك فيه وكان يعلم هذا الدعـاء أصحابـه ويأمرهم بالإتيان به (2)

---

1 - ص 117 من كلام العلوي المالكي في كتابه بمفاهيم يجب أن تصحح ....

2 - شواهد الحق في الإستغاثة بسيد الخلق ص 153 ص 98 عن رسالة البيان والتبيان في أن الصوفية مذهبها السنة والقرآن للسيد المختار بن أحمد حال العلوي النحاسي الناشر - دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء

Scanné avec CamScanner

الخاتمة

لما كانت الوسيلة باعثة لتقرب العباد إلى الله ، ولما كان التقرب إلى الله مقصود الإنسان ومطلــــوب منه في عبادته وأعماله ، ولأن السعادة والفلاح لاتحصل للإ نسان لا في الدنيا ولافي الآخرة بدون تقرب ، وعلما أن التقرب لا يحصل بدون وسيلة ، فحصول السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة موقــوف علــى الوسيلة وقد صرح ابن القيم الجوزية في كتابه زاد المعاد أنه لاسبيل إلى السعادة والفلاح لافي الدنيــا ولافي الآخرة إلا على أيدي الرسل ولاينال رضى الله البتة إلا على أيديهم (1)

وعليه فإن الوسيلة التي حصل بها السعادة والفلاح دنيا وآخرة هي الأنبياء والرسل ، هاته الوسيلة إذن يحصل بها الحوائج وحصول الحاجة نعمة من الله المتوسل إليه ، فالوسيلة يحصل بها النعمة وما حصلت به النعمة فهو أيضا نعمة لأن سبب النعمة نعمة ، فإذا ثبت أن الوسيلة نعمة وإحسان من الله فمــا يكــون أكمل نعمة فهو أكمل وسيلة ، ولا شك أن ذوات الأنبياء والرسل من أعظم إنعاماته تعالى فجاز أن تكون وسيلة والذي يجب الإعتراف والإقرار به هو أن النعمة الكبرى والإحسان الأكبر والمن الأعظم هـــوذات محمد صلى الله عليه وسلم رسولنا ومصطفانا الأعظم رحمة العالمين وخاتم النبيئين وشفيع المذنبين الذي قال فيه الحق سبحانه ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا ﴾ (2)

فإذا كان يكفي أن يتوسل به وعلم أنه إحسان ونعمة من الله فذكر هذه النعمة والإحسان في الحاجة إلى الله كاف حتى إن كان غير موجود عندنا وقت التوسل ، كالأعمال الصالحة التي يتوسل بذكرها وهي غير موجودة وقت التوسل ، وكما وقع من أول المتوسلين آدم عليه السلام حين توسل بالنبي قبل ظهوره رغم أنه غير موجود ، ومن أجل هذا إتخذ العباد نعمة الله العظمى ورحمة الله الكبرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسيلة توسلوا بذكرها في حوائجهم قبل خلقه وبعد خلقه ، في حياته وبعد مماته . وكما رأينــا من خلال هذا البحث المتواضع – الذي لاتكفي صفحاته لتناول هذا الموضوع الذي تحدث عنه كثير مــن السلف والخلف من الأئمة والعلماء المتقدمين والمتأخرين – وتناولوه إما مؤيدين أو منكريــن علــى أن الإجماع والجمهور كما رأينا هو المؤيد للتوسل بجميع أنواعه وتبقى قلة قليلة تحاول تكفير وتبديع المتوســل خصوصا بالذوات والأشخاص ، فالإجماع منعقد على جواز التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم ومماتهم من زمن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلى الآن ،ومن قال بخلاف ذلك من المتأخرين فقــد رد عليــه قوله لأنه يخالف إجماع الصحابة والأئمة ، والعلماء ، فالشوكاني يقول في رسالته الضر النضيض أنه تبــث التوسل بغيره صلى الله عليه وسلم بعد موته بإجماع الصحابة .

1 – من زاد المعاد في هدي خير العباد – ج1 ص28–دار الكتب العلمية بيروت–

2 – آل عمران : الآية 164

فالمنكر للتوسل بذات الرسول صلى الله عليه وسلم بعد موته وبذوات الصالحين قد خرق الإجماع وفارقه، ولذلك رد العلماء كافة على إبن تيمية الذي قال بعدم جواز التوسل بذات النبي والولي بعد الموت على أن العجب هوأن إبن تيمية رغم إعترافه بصحة الأحاديث – وهذا لايدل على أنه إعترف بها كلها – مثل حديث عثمان إبن حنيف الذي يرى أنه قد رواه المصنفون، ثم يقول بعد ذكر قصة توسل عمر بالعباس رضي الله عنهما ، وقصة معاوية إبن سفيان المتوسل بيزيد إبن الأسود : .... لهذا دعاء عمر أقره عليه جميع الصحابة ولم ينكر عليه أحد مع شهرته وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية . إنتهى ([1])

فمع هذا الإعتراف فلا يصح أن يجد إبن تيمية سبيلا إلى إنكار التوسل بذات النبي أو الولي بعد الموت إذ أنه وبهذا الإعتراف إلتزم أن الدعاء الذي فيه كلمات التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم وذات الصالحين جائز و ثابت بالإجماع ،والحاصل إذا أن إنكاره باطل مردود يخرق الإجماع ويناقض إعترافه بالإجماع أما قوله أنه توسل بالدعاء فهو كذب وغلط أن ماثبت بالأحاديث هو الدعاء بالتوسل لا التوسل بالدعاء ، فلا يلتفت إذن إليه ولايعول عليه في ذلك ولاسيما في مسألة الزيارة والتوسل والتبرك بخير الآنام وبدر التمام عليه أزكى التحايا والسلام. فكيف للتوسل أن يكون شركا وهو مطلوب شرعا ، والمطلوب شرعا إستحال أن يكون شركا ؟

فالمعتقد إذن بالتوسل والإستغاثة إعتقاده حق وثابت بالكتاب والسنة والإجماع وإيمانه كامل وأعماله مقبولة عند الله لأنه مطيع له ولرسوله في إعتقاده وأعماله ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما وهذا هو معيار الحق والإيمان،ومن قال أن التوسل شرك ومعتقده مشرك فقد كذب الله والرسول والصحابة والأسلاف لأن الشرك هو إعتقاد المشاركة في الألوهية أو في صفاته ، والتوسل ليس من صفاته عز وجل ولا من أفعاله بل هو من خصوصيات العباد.

وصفوة القول أن منع التوسل بالذوات أو الأشخاص في الحياة وبعد الممات من طرف ثلة من المانعين المنكرين مردود باطل لأنه يؤدي لاجتماع معظم الأمة على ضلالة وعليه فالتوسل عموما وزيارته صلى الله عليه وسلم وطلب الشفاعة منه والتبرك به ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة وسلف الأمة وخلفها قطعا بلا شك ، ولا مرية في أن ذلك من أعظم القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه .

---

[1] – انظر تحفة الأحوذي جزء 4 ص 282.

لائحة الكتب والمراجع

- القرآن الكريم .
- صحيح البخاري طبعة جديدة المكتبة العصرية 1995
- صحيح مسلم ط الحلبي
-كتاب الموسوعة الفقهية – ط 1988 – الكويت وزارة الأوقاف
- القاموس المحيط – للفيروز أبادي- المطبعة العصرية –
- لسان العرب لإبن منظور دار الجيل ودار لسان العرب بيروت ط 1988
- مفردات الراغب الأصفهاني : دار القلم دمشق تحقيق صفوان عدنان داوودي
- شذرات الذهب لإبن العماد الحنبلي (مطبعة القدسي مصر)
- الفتاوي الكبرى للشيخ إبن تيمية
- كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لإبن تيمية (المكتبة العلمية – بيروت)

كتاب تحفة الإخوان بأجوبة مهمة تتعلق بأركان الإسلام لعبد العزيز بن عبد الله بن باز الطبعة الثانية جمعه وطبعه محمد بن شايع بن عبد العزيز الشايع 1995

- رسالة البيان والتبيان في أن الصوفية مذهبها السنة والقرآن للمختار بن أحمد خال العلوي التجاني ، دار الرشاد الحديثة – الدار البيضاء .
- مفاهيم يجب أن تصحح للعلوي المالكي الحسني ط الأولى بالمغرب 1993
- أبواب الفرج للعلوي المالكي الحسني
- كتاب البصائر لمنكري والتوسل بأهل المقابر لصاحبه مولانا حمد الله الداجوي
- كتاب مسائل كثر حولها النقاش والجدل للشيخ السيد زين آل سميط الناشر يوسف السيد هاشم الرفاعي (ط 1 الكويت).
- كتاب الإبداع في مظار الإبتداع الشيخ علي محفوظ دار الإعتصام
- كتاب إتحاف الأذكياء بجواز التوسل بالأنبياء والأولياء عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري .
- رسالة في التوسل لمحمد حسنين مخلوق في كتاب الصواعق الألهية في الرد على الوهابية
- الرد المحكم المنيع على منكرات شبهات إبن منيع للسيد هاشم الرفاعي .
- كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية لإبن زيني دحلان .(المطبعة الميمنية –مصر)
- شواهد الحق في الإستغاثة بسيد الخلق – يوسف بن إسماعيل النبهاني –
- روح المعاني – الألوسي –دار إحياء التراث العربي بيروت –
- تحفة الذاكرين – الإمام الشوكاني – دار الكتاب العربي –
- المستدرك على الصحيحين – الإمام الحاكم – مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب –
- المسند – الإمام أحمد – دار الفكر –
- الموطأ – الإمام مالك – دار الفكر –
- الحاوي للفتاوي – السيوطي- المكتبة العصرية –
- تفسير بن كثير – ابن كثير- دار الكتب العلمية بيروت –
- تفسير القرطبي – دار الكاتب العربي – القاهرة –
- زاد المعاد في هدي خير العباد – ج1 ص28–دار الكتب العلمية بيروت–

Scanné avec CamScanner

فهرس الموضوعات

مقدمة : 3
الباب الأول: دراسة المفهوم 4
الفصل الأول : التوسل لغة وإصطلاحا 4
الفصل الثاني : أقوال بعض العلماء في مصطلح التوسل........................5
1 – الشيخ زين آل سميط 5
2 – محمد حسنين مخلوف 5
3 – ابن تيمية...5
4 – الشيخ علي محفوظ 5
5 – أحمد بن زيني دحلان 6
6 –الدكتور العلوي المالكي 6
الباب الثاني : مادة التوسل في النصوص الشرعية 6
الفصل الأول: من خلال القرآن 6
الفصل الثاني: من خلال السنة 7
الفصل الثالث: أنواع التوسل وحكمه 9
الفصل الرابع : من خلال أقوال العلماء والأئمة.......................10
الباب الثالث: المفهوم بلفظ آخر 12
الفصل الأول: الدعاء 12
الفصل الثاني : الإستفتاح 15
الفصل الثالث : الإستشفاع 17
الفصل الرابع : الإستغاثة 19
الفصل الخامس : الإستعانة 21
الفصل السادس: الإستغفار 23
الباب الرابع : موقف للعلماء الشرع من التوسل 24
الفصل الأول: أهل الإثبات: 1 – محمد حسنين مخلوف 25
2 – ابن زيني دحلان 28
3 – عبد الله بن محمد بن الصديق 34
الفصل الثاني : أهل النفي 1 – ابن تيمية 40
2 – الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز...47
3 – محمد بن عبد الوهاب...49
الفصل الثالث: إستنتاج وترجيح 50
خاتمة 52
فهرس المراجع 54

Scanné avec CamScanner